القومية العربية

مصر والقوة الناعمة

إن مصر صاحبة أقدم حضارة عرفتها الإنسانية فهي بحق أم الحضارات الإنسانية ومن مصر انتشرت الحضارة والمدنية إلى كافة أنحاء العالم .

يقول العلامة د. سليم حسن : " إن مصر هي المنبع الأوَّل الذي ظهر لنا منه كتابات مدوَّنة في الوقت الذي كانت كل ممالك العالم تقريباً تهيم على وجوهها في الغابات ، وتتيه في المجاهل والأحراش ومن هذه المَدَنيِّة المصرية اغترف العبرانيون والإغريق والآسيويون ، ومن ثمَّ تسربت إلى أوروبا . " [١]

ويقول د. جمال حمدان تحت عنوان السَّبْق الحضاري " مصر أم الدنيا " : "أول ما نرى حضارة مصر الزراعية الراقية نراها مع بداية عصر الأسرات (٣٢٠٠ ق.م) حين تبرز لنا في صورتها المتطورة الكاملة التي ترتبط في أذهاننا بمصر الفرعونية عموماً ، وبديهي أن وراء هذه اللوحة التامة تاريخاً تطوريّاً سحيقاً وتبدأ الجرثومة الأولى في هذا التاريخ في نهاية العصر الحجري القديم ." [٢]

لقد فجَّرت الحضارة المصرية القديمة أول ثورة ثقافية جمعت بين العقيدة والمعرفة أو بين الدين والعلوم منذ فجر التاريخ وتشابكت جذورها فلم ينفصل أحدهما عن الآخر . لذا فقد أطلقوا على العلوم اسم المعرفة المقدسة ونسبوا كل شيء إلى الخالق جلَّ وعلا فقد كانوا أول من آمن بوجوده سبحانه وتعالى فارتبطت المعرفة وعلومها بالسماء

([1]) د. سليم حسن " مصر القديمة " ج١ الهيئة المصرية العامة للكتاب ص (أ).
([2]) د. جمال حمدان " شخصية مصر " ج٢ دار الهلال ص ٣٦٨.

obeikandl.com

فنبتت جذورها في المعابد وأصبحت ضمن مقدساتها . لذا لم تخضع الحضارة المصرية القديمة لمبدأ التجارب والخضوع لسنة النشوء والتطور بل خرجت إلى النور متكاملة يعززها البحث العلمي الذي نسبوه إلى المعبود " تحوت " المعروف عند اليونان باسم هرمس المثلث بالنبوة والحكمة والملك ، وأكثر العلماء المسلمين يجمعون على أن هرمس هو سيدنا إدريس عليه السلام .

ومن مصر خرجت جميع عناصر الحضارة المصرية مقوماتها ومنجزاتها في مختلف علوم الحياة وفنونها وآدابها ، وأسرار العقيدة وتشاريعها ونظمها لتعلم العالم الحضارة والرقي والدين والخلق الرفيع . (١)

وعندما أشرق نور الإسلام على الدنيا كانت مصر أهم الدول التي احتضنته وراعته، كما راعت اللغة العربية التي نزل بها هذا الدين ، وهذا الواجب المقدس لم ينهض به أبناء مصر وحدهم بل شاركهم في ذلك أفواج من أبناء الأقطار العربية الشقيقة على شرط أن ينزلوا مصر ويستوطنوها ويتخذوها محلاً مختاراً ، وهؤلاء قلما يستطيعون أن يؤدوا للإسلام والعروبة الخدمة الواجبة وهم في ديارهم ولكنهم لا يلبثون أن ينزلوا مصر حتى يسمع بهم العالم العربي كله وحتى تنتشر آثارهم في الشرق والغرب .

وقد أسس الجامع الأزهر منذ أكثر من ألف عام كما أنشئ غيره من دور العلم والثقافة العربية في المشارق والمغارب ، ولكن الأزهر وحده دون الجامعات العربية هو الذي انتشر نفوذه إلى جميع الأقطار التي تمت للعروبة بصلة وهو وحده الذي كتب له العمر الطويل على مدى القرون والأجيال . (٢)

إن هذا التأثير المصري في الأمة العربية في شتَّى ألوان المعارف والفنون هو ما يسمى بالقوة الناعمة التي يقول عنها حسنين هيكل : " إن القاهرة أخذت تتحول، دون

---

(1) لمزيد من التفصيل عن الحضارة المصرية القديمة راجع كتابنا " الاستراتيجية الصهيونية ، والمنهج الإلهي لميراث الأرض " دار هبة النيل العربية للنشر والتوزيع ، وكتاب " حضارات مصر ونهضاتها " ، وكتاب " لسنا فراعنة ولا عرباً ولا أورمتوسطين فمن نكون ؟ " دار زهور المعرفة والبركة .

(2) من مقال د. محمد عوض وزير التعليم السابق نشر بمجلة الهلال يناير ١٩٥٠ .

أن ندرى وكما تنشأ كل الأمور الطبيعية دون أن يخطط أحد، إلى عاصمة ذات دور خاص. قدم إليها المفكرون الهاربون من الخلافة، والهاربون من السلطان العثماني الذي تشتد قبضته أكثر على المواقع الإسلامية بعد ضياع المسيحية . في هذه الفترة بدأت القاهرة تقوم بدور: ليس البديل وإنما الموازي، في الناحية الثقافية والفنية والعلمية، وحتى نواحي الفكر والحرية السياسية. بدأ هناك شيء في القاهرة يعطيها وضعاً آخر. هي ليست القوة الغازية أو الحاكمة، ولكنها قوة بشكل ما قد كوِنت ما يمكن أن يكون ملاذاً لأفكار وتيارات، وهذا أعطاها قوة إلى جانب الإعلام.. فإن هذا أيضاً ما حدث في المسرح، والموسيقي، وحركة الترجمة والتأليف.. إلى آخره، وبالتالي هرعت المنطقة كلها تقريباً بآمالها وطموحاتها إلى عاصمة اسمها القاهرة لأن الظروف السياسية فيها كانت تتيح ذلك ، توفر نوعاً من الاستقلالية عن الخلافة، لأن الظروف في حالة مصر كانت تعطي: صلة بالجامع المشترك ، واستقلالاً عنه في نفس الوقت، وهكذا نشأ مركز في القاهرة في اعتقادي : أننا يجب أن نفهمه لكي نستطيع أن نحافظ عليه ؛ لأني أخشى أن هذا الموقع الآن معرض لهجمات شنيعة .

الحق أننا عندما تحدثنا في مصر حتى قبل الثورة عن أفكار الاستقلال الوطني والمجالس النيابية، تكلمنا عن حرية.. تكلمنا عن دستور، فإن كل هذه الأفكار قد وجدت صداها في العالم العربي، ليس لأننا كنا راغبين في تصديرها.. ولكن لأن القاهرة تحولت بفعل ظرف تاريخي تسانده حقائق جغرافية إلى قوة، لكن أية قوة؟

أظن أن أفضل من وصف هذا النوع من القوة هو جوزيف ماي، وهو أستاذ أمريكي بجامعة هاربر، في كتابه المهم جداً عن القوى الناعمة. كنا نتحدث عن مناطق تمارس نفوذاً أكثر من قوتها العسكرية والاقتصادية، لكن بشكل أو آخر لها نفوذ يتعدى الحسابات المادية، والقاهرة كانت واحدة منها. كان ماكميلان يحدثنى عن تأثير القاهرة وغيره آخرون .. فالقاهرة لها وضع خاص لم يتميز به غيرها بهذا الشكل، حتى قاهرة الملك فاروق وقاهرة الملك فؤاد. الموسيقى والسينما والصحافة فى مصر قامت بدور أكثر ألف مرة مما يمكن أن تفعله الدبابات والأساطيل والمدافع فى خدمة

إمبراطورية. ولكن على شرط أن ندرك أن هذه القوة ليست مسيطرة... هذا نفوذ مقبول ولكن غير مفروض، وبالتالي فإننا نرتكب خطأً عندما نتصور أن ذلك مفروض.. أو أنه لنا بالحق الطبيعي خطأ شنيع جداً. نعود لكلام البروفيسور مای عن القوى الناعمة، فهو يقول إن التاريخ قد عرف نوعين من القوة: * القوة الصلبة: وهى القوة التى تفرضها الإمبراطوريات بقوة السلاح، وربما الاقتصاد. أما القوة الناعمة: فهي القوة التى تستطيع أن تحدث تأثيرها دون وسائل العنف، فتتحقق بالنفوذ أكثر مما تتحقق بالغزو. " [1]

هكذا كان دور مصر وتأثيرها في الوطن العربي كله كانت قوة ناعمة فترى ما هو مصير هذه القوة الناعمة بعد ثورة يوليو .

كيف نبتت فكرة القومية العربية في رأس عبد الناصر ؟

في البداية لا بد أن نقرر أن عبد الناصر قبل عام ١٩٥٣ لم يكن قد زار بعدُ أيَّ بلد عربي ، ولم يبد أي اهتمام بالشأن العربي ، فقد كان منكبَّاً على قضايا مصر الوطنية . وأول مرة تتسع دائرة اهتمامه لتشمل الوطن العربي كان في كتابه "فلسفة الثورة " (١٩٥٣) حيث يقول : " لن نستطيع أن ننظر إلى خريطة العالم نظرة بلهاء لا ندرك بها مكاننا على هذه الخريطة ودورنا بحكم هذا المكان . أيمكن أن نتجاهل أن هناك دائرة عربية تحيط بنا ، وأن هذه الدائرة منا ونحن منها ، وامتزج تاريخنا بتاريخها، وارتبطت مصالحنا بمصالحها، حقيقة وفعلاً وليس مجرد كلام ؟ ".

وفي موضع آخر من الكتاب يقول : " ما من شك أن الدائرة العربية هي أهم هذه الدوائر [الدائرتان الأخريان يقصد بهما ، قارة أفريقيا ، والعالم الإسلامي] وأوثقها بنا فلقد امتزجت معنا بالتاريخ وعانينا معها نفس المحن ، وعشنا نفس الأزمات ، وحين وقعنا تحت سنابك خيل الغزاة كانوا معنا تحت نفس السنابك . وامتزجت هذه الدائرة معنا أيضاً بالدين ، فنقلت مراكز الإشعاع الديني ، في حدود عواصمها من مكة إلى الكوفة ثم القاهرة . "

([1]) محمد حسنين هيكل برنامج " مع هيكل " الجزيرة نت .

obeikandl.com

وفي موضع ثالث يقول: "ولقد بدأت بعد أن استقرت كل هذه الحقائق في نفسي أومن بكفاح واحد مشترك وأقول لنفسي: ما دامت المنطقة واحدة، وأحوالها واحدة، ومشاكلها واحدة، ومستقبلها واحد .. والعدو واحد مهما حاول أن يضع على وجهه من أقنعة مختلفة – فلماذا تتشتت جهودنا ؟ فقد بدأت خبايا الصورة تتكشف، والظلام الذي كان يحيط بتفاصيلها ينقشع، وأعترف أني كذلك بدأت أرى العقبات الكبرى التي تسد الطريق إلى الكفاح الواحد، ولكني بدأت أومن بأن هذه العقبات نفسها ينبغي أن تزول لأنها من صنع ذلك العدو الواحد." [١]

وواضح من كلام عبد الناصر أن موضوع الوحدة العربية لم يكن في دائرة اهتمامه قبل ذلك ولكنه بعد قيام الثورة واستقرار الأمور في مصر بدأ يفكر في هذا الموضوع.

يقول كوبلاند : " عندما قام عبد الناصر بانقلابه لم يكن يعرف إلا القليل عن العرب، بل ولم يكن يشعر أنه عربي . وكذلك لم يكن قد زار أي قطر عربي أو واجه أي شعب عربي . ولكنه أصبح زعيماً عربيّاً بعد أن دخلت كلمة " عرب " القاموس السياسي لشعوب المنطقة . ولم تفلح معرفته المحدودة وقتئذ بالعرب في تحريك محبته لهم ، ولم تساعده زياراته لبعض الدول العربية منذ سنة ١٩٥٢ على اكتساب أية خبرة جديدة في هذا المجال ، وإنما أكدت له شكوكه السابقة بالعرب. فقد بقي العراقيون في نظره متوحشين ، واللبنانيون مرتشين فاسدين (ولم تكن بيروت في نظره أكثر من ناد ليلي مترامي الأطراف) ، والسعوديون قذرين ، واليمنيون أغبياء متخلفين . والسوريون مخادعين لا يقدرون المسئولية ولا يثقون بغيرهم . ولكن عبد الناصر بالتأكيد ، ينكر الآن [٢] جميع مواقفه وآرائه تلك . بل على العكس فهو يعتقد أن في العالم حقيقة ملموسة هي " العالم العربي " وبدأ هذا بعد عودته من مؤتمر باندونج . كما أنه يتمتع

([1]) جمال عبد الناصر " فلسفة الثورة " مطابع مجلس الخدمات والصفحات على التوالي هي : ٩١ ، ٩٤ ، ١١٠ ، ١١١.

([2]) كتب كوبلاند كتابه عام ١٩٦٨ .

بشعبية لا بأس بها في أوساط السوريين واللبنانيين والليبيين والأردنيين الذين سيطرت على مشاعرهم فكرة الوحدة والعروبة وتجاوزت نزعاتهم الإقليمية بعد تخلصهم من أنظمتهم الفاسدة ومن الجدير بالذكر أن رفاق عبد الناصر الذين ساعدوه في الوصول إلى السلطة ، ويعود لهم الفضل في بقائه فيها حتى الآن . لا يشاطرونه رأيه ولا يسايرونه في مواقفه العربية إلا ضمن حدود المصالح المصرية المحضة . وقد كانت النزعات المصرية العربية تعكس نوعاً خاصاً من التصورات داخل قصور الساسة المصريين ، ساعدت على تأمين توازن مستمر بين الأزمات الداخلية والانتصارات الخارجية على أن عبد الناصر نفسه سرعان ما يصبح أكثر تعصباً لمصريته وأقل حماساً لعروبته كلما نشبت الأزمات داخل مصر . وأما في تخطيطه لإستراتيجيته السياسية فلا يتردد في وضع المصالح المصرية فوق غيرها معتبراً مصالح العرب كلهم تبعاً لمصالح مصر . " [1]

لم تكن نظرة عبد الناصر للدول العربية على اعتبار أنها دول ذات سيادة وأعضاء متساوون في جامعة الدول العربية إنما كان يطمح في قيادة الأمة العربية وتوجيه مسارها فقد كان يرى نفسه جديراً بهذه المنزلة

ولكن كيف يتمكن عبد الناصر من الوصول إلى التحكم في سياسة الدول العربية ، وإخضاع الحكام العرب لنفوذه ، نعم لمصر رصيد كبير من التأثير الثقافي والعلمي والحضاري في سائر الدول العربية بفضل القوة الناعمة التي تمثلت في الموسيقى والغناء والسينما والمسرح والصحافة والكتاب وقرَّاء القرآن الكريم . تلك الفنون والمعارف والعلوم التي غزت مصر بها الوطن العربي وأثرت في شعوبه على كافة

([1]) مايلز كوبلاند " لعبة الأمم " تعريب مروان خير . انترناشنال سنتر – بيروت ص ٩٠ ، ٩١ . وبالمناسبة لقد أثار الناصريون كثيراً من الشكوك حول هذا الكتاب وصحة ما جاء فيه من معلومات ، ولكن حسن التهامي في حديث له مع عبد الناصر حول هذا الكتاب قد أكد أن عبد الناصر قد اعترف بأن كوبلاند قد أرسل له نسخة من هذا الكتاب لإبداء الرأي فيه قبل نشره وأن عبد الناصر لم يعترض على ما جاء في كتاب " لعبة الأمم " ووافق على نشره . راجع في هذا الموضوع كتابنا " أمريكا وعبد الناصر من التحالف للعداء " دار زهور المعرفة والبركة .

المستويات والاتجاهات . لكن كل هذا لا يجعل حكام الدول العربية يخضعون لقرار حاكم مصر ولا يجعل شعوبهم تضغط عليهم لينضووا تحت جناحه .

بحث عبد الناصر عن باعث للوحدة العربية

لابد إذن من باعث آخر يحرك الشعوب العربية لتضغط على حكامها لتسير في ركاب حاكم مصر . أخذ عبد الناصر يبحث عن ذلك الباعث الذي يوحد به العرب فلم يجد إلا فكرة القومية فقد تبنت هذه الفكرة كثير من الدول الغربية لتتوحد ضد أعدائها ، وتقوم فكرة القومية على مجموعة مِن الأساطير، سواء فِي ذلِك القومية السلافية، والألمانية، والفرنسية، والإيطالية، وسائر القوميات الأخرى، فكل همها هو أن تجد "منابع" لِلأصلِ المشترك، مِن أجل تبرِير "سِياسة" تنتهجها، وهي منابع : الاشتِراك فِي الدم، والملحمة التاريخية، والرباط الجسدِي بالأرض. [1]

لقد بذل عبد ناصر قصارى جهده للعثور على ذلك الباعث الذي يملك عن طريقه توحيد الأمة وتجميع شملها حوله . لقد كان عبد ناصر بحاجة إلى ما عبر عنه "جورجس سوريل " وحدده باسم الأسطورة وهي عبارة عن مجموعة تصورات وانطباعات تملك القدرة على إثارة كل العواطف والمشاعر بطريقة غريزية .

لقد وجد عبد الناصر إذن ضالته في فكرة " القومية العربية " تلك الفكرة التي تصادف هوى في نفوس كل العرب لأنها تعيد لأذهانهم فكرة الخلافة الإسلامية والمد العربي الذي قهر الأباطرة والقياصرة وورث ممالكهم في الشرق والغرب .

يقول كوبلاند : " إن أسطورة عبد الناصر (قوميته العربية) هي مجموعة تصورات وانطباعات تحيط بمعركة الرجل الملون (العرب والمسلمين والإفريقيين، وهي دوائر عبد الناصر الثلاث) ضد الأوربيين (السوفييت والغربيين) ؛ معركة يثق فيها الرجل الملون كل الثقة من إنه سيفوز في النهاية . كما استخدم عبد الناصر لرصيده في

([1]) راجع رجاء جارودي " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " الباب الثاني الفصل الثاني " القومية الأوربية وَالْقَوْمِيَّة الصهيونية " .

أجهزة البناء والإصلاح (مثل الدعاية ، الحزب السياسي الواحد ، الآلاف المؤلفة من الموظفين) يهدف إلى تخليد تلك " الأسطورة " إن نظرتنا حول ناصر وأسطورته ستكون ذات خدمة جليلة خلال استعراضنا لمحاولات ناصر للربح ولاكتساب التأييد الشعبي وكيف أنها قد أثَّرت كثيراً على مرونة حركته ومناوراته في " لعبة الأمم " . [1]

دوافع عبد الناصر لدعوته إلى القومية العربية

لقد أدرك عبد الناصر أنه لكي يكون لاعباً أسياسيّاً في المنطقة فلا بد أن يُخْضِع أكبر عدد من الدول لنفوذه حتى يتمكن من حصد أكبر قدر ممكن من المساعدات الأجنبية .

يقول كوبلاند : " اعتقد ناصر أنه في ذلك الوقت الذي تصاعد ضغط "اتحاد المحايدين" على مصادر المساعدات الأجنبية الرئيسية – وهوي الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي – بصورة حسابية بسيطة ، فقد تضاعف ضغطه عليها بصورة هندسية مركبة وعلى سبيل المثال فعندما كان ناصر يضمن تأييد المصريين وحدهم له كانت قيمة المساعدات التي يتقاضاها منَّا لا تتجاوز جدلاً " س " وعندما يضمن تأييد العالم العربي له فالنتيجة أحسن والقيمة تتضاعف وتغدو " س^2 " وفي حال وقوف العالم الإسلامي معه فإنه يحصل على مساعدات تبلغ "س^3 " وعند مؤازرة الدول غير الغربية له (الإفريقية والآسيوية) فإنه يحصل على مساعدات قيمتها " س^4 " . ولم نكن نشترط عليه أن يكون الناطق باسم جميع الدول الإفريقية والآسيوية أو جميع دول العالم الإسلامي ، بل كان يكفيه أن يبرهن لنا على أنه يملك زمام التأثير عليها حتى يتقاضى كامل أجره ومطلق تعويضاته . ولم نكن لنتفرد في سلوك مثل هذا الطريق وحدنا بغية تنفيذ مآربنا ، بل كان السوفييت يشاركوننا في هذا أيضاً . فكنا وإياهم نفضل الاستعانة بناصر لتنفيذ سياستنا وتحقيق أغراضنا بدل الاستعانة بغيره من زعماء : اتحاد المحايدين " مثل نكروما أو سوكارنو أو بدل مباشرة ذلك بأنفسنا . " [2]

([1]) مايلز كوبلاند " لعبة الأمم " تعريب مروان خير مرجع سابق ص ١٥٢ ، ١٥٣ .
([2]) مايلز كوبلاند " لعبة الأمم " تعريب مروان خير مرجع سابق ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

openkandil.com

لم يكن عبد الناصر يطمح في أن يصير حاكماً لكل العرب فهذا فوق طاقته وأكبر من إمكانياته إنما كان أقصى طموحه هو أن يكون في استطاعته توجيه سياسة الدول العربية ، وأن يكون المتحدث الرسمي باسمها مع القوى الخارجية دون أن يتحمل مغبة أن يكون مسئولاً عن إدارة شئونها الداخلية . [١]

يقول كوبلاند : " معظم الموظفين الأمريكيين الذين سمحت لهم ظروفهم بالاحتكاك بناصر لفترات طويلة (أمثال كيرميت روزفلت وروبرت أندرسون ويوجين بلاك وتشارلز كريمنيز وكل سفرائنا في القاهرة) يميلون إلى الاعتقاد أن ناصر لا يطمح إلى حكم العالم العربي أو الإسلامي أو القارة الإفريقية ، كما أراد هتلر أن يحكم أوربا، وإن جُلَّ ما يريده هو توجيه سياستها الخارجية في مواجهتها للدول الكبرى – وكان ناصر يريد إقناع الغرب أنه لن يتمكن من عقد أية صفقات مع حكومات الدول الواقعة في مناطق نفوذه بدون التشاور معه أولاً ، وأن ما يعقده الغربيون معه من اتفاقات فإنما يعقدونها مع جزء من العالم أوسع من حدود مصر الإقليمية . وهذا الموضوع يشكل المادة الرئيسية في حوار صراعنا مع ناصر ضمن مجال " لعبة الأمم " . [٢]

جهود عبد الناصر في دعوة الحكام العرب إلى القومية العربية

بدأ عبد الناصر في الاتصال بالحكام العرب من أجل تنفيذ ما عزم عليه من الدعوة إلى القومية العربية ، لكن الأمر لا يتوقف عند عثور عبد الناصر على الوصفة السحرية التي تمكن العرب من الوقوف بكل قوة وحزم في وجه الغرب ، وإفشال مخططاته بل والانتصار عليه بعد قرون طويلة من الانكسار . فهناك عقبات كثيرة يجب إزالتها قبل الوحدة . أولى هذه العقبات كما يقول عبد الناصر هي : "الشك" شك حكام العرب في نوايا بعضهم البعض فلم يكن هناك ثقة متبادلة بينهم إنما كان كل واحد يحاول أن يستغل الآخر لمصلحته الشخصية .

([1]) ولقد فشلت المحاولتان اللتان اضطر عبد الناصر فيهما أن يكون مسئولاً إدارياً عن بلد آخر غير مصر كما حدث في الوحدة مع سوريا ، وحرب اليمن .

([2]) مايلز كوبلاند " لعبة الأمم " تعريب مروان خير مرجع سابق ص ٢٠٥ .

يقول عبد الناصر : " لقد بدأت أخيراً في الاتصالات السياسية من أجل توحيد الكفاح مهما كانت الوسيلة ، وخرجت بعد شهر من الاتصالات بنتيجة هامة ، هي أن العقبة الأولى في طريقنا هي " الشك " وكان واضحاً أن بذور هذا الشك قد بذرها في نفوسنا ذلك العدو الواحد نفسه ، لكي يحول بيننا وبين الكفاح الواحد . " [١]

والحقيقة أن العدو الخارجي ليس مسئولاً وحده عن بذر بذور الشك بل حكام العرب أنفسهم هم المسئولون عن ذلك فما كان يشغل كل حاكم عربي هو تقوية نفوذه داخل بلده ومحاولة توسيع دائرة نفوذه على حساب الدول العربية الأخرى ، ولنضرب مثالاً واحداً لنؤكد هذا الأمر .

في حرب فلسطين كان "الملك فاروق يضمر الحسد من الملك عبد الله" [٢] فلكل منهما أهداف من الحرب مخالفة للآخر ولقد سعى كل واحد منهما إلى تكوين تحالفات لإفشال خطة الآخر " فالأردن تؤيده العراق أراد التدخل عسكريّاً كي يؤمن أجزاء من فلسطين التي خُصِّصَتْ للدولة العربية حسب خطة التقسيم في حين أن مصر تؤيدها السعودية أرادت أن تعوق خطة الأردن / العراق بإلغاء التقسيم " [٣] .

وقد كتب جلوب قائد القوات الأردنية في حرب فلسطين حول هذا الموضوع يقول : " لست أعرف على مدى التاريخ عملاً في مثل هذا القدر من الحمق والتهور أتى به رجال تقع عليهم مسئولية الحكم .. لقد ضاع مستقبل شعب فلسطين ضحية لتعدد السياسات العربية وعدم وضوح هدف نهائي للعمل بالإضافة إلى أنه لم يكن هناك حد أدنى للتنسيق بين هذه السياسات " [٤] .

كان هذا هو موقف حكام العرب إزاء خطر محدق يهدد الأمة العربية ، شك واختلاف وتنافس بل تصارع فما بالنا بموقفهم من خطر محتمل خاصة أن الذي

([1]) جمال عبد الناصر " فلسفة الثورة " مرجع سابق ص ١٢١ .
([2]) د. محمد نصر مهنا " صور من المشكلات السياسية في العالم المعاصر " ص ١٧ دار المعارف.
([3]) نفسه ص ٢٨ .
([4]) نفسه ص ١٧ .

Open Kandil.com

يدعوهم للوحدة يشترط عليهم أن تكون هذه الوحدة تحت قيادته ويزعم أنه هو الأجدر بها منهم جميعاً .

أسباب رفض الحكام العرب قومية عبد الناصر

يقول عبد الناصر: "ولست أدري لماذا يخيَّل إليَّ أن في هذه المنطقة التي نعيش فيها دوراً هائماً على وجهه يبحث عن البطل الذي يقوم به، ثم لست أدري لماذا يخيَّل إليَّ أن هذا الدور الذي أرهقه التجوال في المنطقة الواسعة الممتدة في كل مكان حولنا قد استقر به المطاف متعباً يشير إلينا أن نتحرك وأن ننهض بالدور ونرتدي ملابسه . فإن أحداً غيرنا لا يستطيع القيام به." [١]

أليس قَصْر عبد الناصر زعامة الأمة العربية عليه فقط دون سائر الحكام مدعاة للشك في تلك الوحدة خاصة أن الذي ينادي بها قد غدر بزملائه المعارضين له من رجال الثورة وأقصاهم عن مجلس قيادة الثورة [٢] كما غدر برجال الأحزاب السابقين وحاكمهم محاكمات عسكرية وأدخلهم السجون ، كما عصف بكل القوى التي عارضت وصوله للحكم : الإخوان المسلمين ، والشيوعيين ، والإقطاعيين [٣] فكيف يأمن له الحكام العرب وكل واحد عنده طموح أن يزيد من سلطانه لا أن يقلِّصه .

لذا لم تلق دعوته لوحدة الصف العربي استجابة من الحكام العرب وإن كانت وجدت استجابة من بعض القطاعات في الشعوب العربية .

فلم تنجح الاتصالات المصرية التي جرت مع الزعماء العرب ، سواء التي جرت عن طريق السفراء العرب في القاهرة أو عن طريق السفراء المصريين في العواصم العربية ، أو تلك التي تمَّت عن طريق زيارات عديدة قامت بها وفود من شتى المستويات . في إقناعهم فكرة القومية العربية و" الحياد الإيجابي " .

([1]) جمال عبد الناصر " فلسفة الثورة " مرجع سابق ص ٩٤ .

([2]) مثل يوسف صديق ، عبد المنعم أمين ، وخالد محيي الدين ، محمد نجيب الذي كان إقصاؤه عن الحكم واعتقاله سبباً أساسياً في انفصال السودان عن مصر .

([3]) راجع كتابنا " العامان المجهولان في تاريخ ثورة يوليو " دار زهور المعرفة والبركة.

obeikandi.com

ويعترف عبد الناصر بفشل دعوته إلى وحدة الصف فيقول: " نحاول بكل وسيلة من الوسائل من أجل وحدة الصف العربي أن نعيد الوفاق .. ونحاول أن نجمع الصف من أجل وحدة الصف العربي، ولم يكن هناك سميع ولا مجيب .. وقد بعثت إلى قاسم العراق أربع مرات حتى نجتمع من أجل وحدة الصف العربي ومن أجل مصلحة العالم العربي . " [١]

ولم ييأس عبد الناصر من الدعوة إلى وحدة الصف العربي فراح في معظم خطبه يردد " تعالوا نعمل على وحدة الصف العربي . " [٢]

" إن سبيلنا لحماية الحرية وتثبيت الاستقلال هو التضامن ووحدة الصف العربي " [٣]

ويعترف عبد الناصر أن سبب إحجام الحكام العرب عن تلبية دعوته بل معاداتها هو رغبته في بسط نفوذه عليهم لا رغبته في وحدة أكفاء لا يعلو بعضهم على بعض ولا يتخذ بعضهم بعضاً سخريّاً .

يقول عبد الناصر : " بدأ الكلام كتير جداً على محاولة إخماد الفكرة في الدعايات المعادية لها، وتركيز الهجوم على الأشخاص، يقال مثلاً إن القومية العربية معناها إمبراطورية يريد أن يحكم فيها جمال عبد الناصر ويتسلط بها على الدول العربية " [٤]

الإعلام الناصري والدعاية لزعامة عبد الناصر عربيا

ولكي يدعِّم عبد الناصر مكانته كزعيم عربي جدير بأن يقود العرب ، وتسلم له الدول العربية رايتها لجأ إلى الإعلام الدعائي وفي مقدمته إذاعة صوت العرب التي رفع من قوة بثها إلى الحد الذي يتمكن معه من إسماع صوتها إلى العرب في كل

([1]) من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر من دمشق بعد جنازة شهداء ثورة العراق ١٩٥٩/٣/١٣.

([2]) من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر الشعبي الذي أقامه الاتحاد القومي للاحتفال بمرور سبع سنوات على الثورة ١٩٥٩/٧/٢٢.

([3]) كلمة الرئيس جمال عبد الناصر من ساحة الجلاء بحضور بطريرك الأرمن الأرثوذكس ووفد من رجال الدين الأرمن من لبنان ١٩٥٩/٣/٨.

([4]) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في اجتماع قيادة ضباط حامية اللاذقية ١٩٦٠/٢/١٤ .

مكان وبوضوح لا يقل عن وضوح إذاعة أمريكا أو لندن أو أي إذاعة عربية أخرى . لقد كان لإذاعة صوت العرب تأثير كبير في المستمعين لما تبثه من مواد شيقة تجذب السامعين من قصص وتمثيليات وبرامج ترفيهية ، إلى جانب المداومة على إذاعة خطب عبد الناصر ومقالات حسنين هيكل مما جعلها تستحوذ على إعجاب المستمعين حتى أولئك القابعين في أقاصي الصحارى العربية . وكم ترك المستمع أزرار مذياعه مثبتة على أمواج صوت العرب دونما تغيير أو تبديل !

كانت مواضيع وشعارات الإذاعة في البداية كما يلي:

"علينا نحن العرب أن نتحد لنحمي أنفسنا من الاستغلال الإمبريالي لنا " : إن البريطانيين هم أوغاد الإمبريالية الرئيسيون ، ولكننا يجب ألا ننسى أن الأمريكيين والروس هم أيضاً كذلك . فقد نشرت قصص كثيرة وكلها تدور حول دخول البريطانيين أو الروس أو الأمريكيين البلاد تحت شعار تقديم المساعدات ولكنهم ما يلبثون أن يستغلوا البلاد ويجعلوها معتمدة كليّاً على تلك المساعدات . " إننا – نحن المصريين – جزء من الأمة العربية " : وهذه هي " الأسطورة " التي تبناها ناصر. فلم يكن هناك أي حماس أو دفاع عن الوحدة السياسية أو تعاون وثيق على مستوى الحكم والإدارة (مثل توحيد الجمارك ، وتسهيل انتقال الرعايا العرب من بلد عربي لآخر دون تأشيرات دخول ، وتصفية تلك الخلافات المتنوعة التي ما زالت تعصف بالعالم العربي) . وتحت الشعار المذكور أعلاه ، كانت مادة التوجيه في معظمها ثقافية مثل القصص التاريخية والبحوث الفلسفية وكل ما يمكن أن يشكل مادة تساعد المستمعين وتشجعهم على أن يكون تفكيرهم مشبعاً بأفكار مثل " كيان العرب " و " استقلال العرب". [1]

وبالإضافة إلى تنديد إذاعة صوت العرب – وخطب عبد الناصر وصحفه وكتابه – بالاحتلال الأجنبي ووسائله وأهدافه ، والتركيز على الوحدة العربية ، وعلى مكانة

([1]) مايلز كوبلاند " لعبة الأمم " تعريب مروان خير مرجع سابق ص ٢٢٤ .

مصر العظيمة بالنسبة للعالم العربي فإن آلة عبد الناصر الدعائية كانت تخلع عليه صفات أبطال الأساطير وتنسب إليه أعمالهم فعلى الرغم من أنه يقف وحيداً إلا أنه استطاع أن يتصدى للدول الغربية ، وأن ينازلها وينتصر عليها جميعاً! ألم يستطع أن يطرد الاحتلال الإنجليزي بعد احتلال دام أكثر من سبعين عاماً وحده ؟! ألم يقف في وجه النفوذ الأمريكي بل أذل كبرياءها بتأميم القناة ؟! ألم يهزم العدوان الثلاثي (انجلترا، وفرنسا ، وإسرائيل) وحده ؟! .

لقد عملت الدعاية الناصرية على أن تجعل منه أنه أول عربي منذ قرون عديدة ينجح في شق عصا طاعة الأوربيين ويرفض الخضوع لهم ، بل إنه أول عربي بعد صلاح الدين يوقع بهم الهزائم الحاسمة ، وهكذا راحت البرامج الدعائية تذاع على الشعب مبرزة هذا الوجه لشخصية عبد ناصر ومؤكدة حقيقته ، وكان المذيعون يرتلون بعض المقتطفات الشاعرية من خطب عبد ناصر التي تفيض بأخبار الشعوب الآسيوية والإفريقية والعربية التي تعاني من اضطهاد الأوربيين واستغلالهم، إلا أنها كانت تختتم بترنيمة شاعرية تقول : " ولكن عبد الناصر سوف ينقذنا من كل هذا " ومع أن هذه البرامج كانت غاية في الابتذال والركاكة إلا أنها كانت ذات تأثير غير قليل في نفوس السامعين من الطبقات ذات الثقافة الضحلة والإدراك السطحي . ولم تبق هناك طريقة يمكن استخدامها في إطار إظهار شخصية ناصر إلا واستخدمت . فقد وزعت صوره في كل مكان وحتى في الكويت التي لم تكن في يوم من الأيام ضمن دائرة نفوذه وكان نادراً ما تجد حانوتاً يخلو من صورته معلقة في أبرز مكان فيه .[1]

ولم تستطع آلة الدعاية الناصرية الجبارة أن تجعل " القومية العربية " التي يدعو عبد الناصر إليها حقيقة واقعة وماذا ينتظر من حكام يدعوهم رجل للدخول في جمهوريته العربية وأن يتنازلوا له طواعية عن ملكهم.

([1]) مايلز كوبلاند " لعبة الأمم " تعريب مروان خير مرجع سابق ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

لو كان قد دعاهم إلى سوق عربية مشتركة، أو اتحاد كونفدرالي [1] أو وحدة أكفاء أو تفعيل ميثاق جامعة الدول العربية [2] لوجد استجابة أكيدة من الدول العربية ومن حكامها ما دام يبغي الوحدة العربية لا الزعامة والدعاية الشخصية.

إن القومية العربية لم تنتقل إلى الواقع الملموس إطلاقاً وبقيت بعيدة عن كونها حقيقية . فمازال عليك أن تمضي ساعتين من الزمن واقفاً على الحدود بين سوريا ولبنان لإنهاء الإجراءات وتقريباً نفس الوقت على الحدود الأردنية السورية، إلى جانب تفتيش دقيق للمسافر نفسه وإجراءات أخرى مهينة ، وما زالت العلاقات بين الحكومات العربية متردية وسيئة ، علاوة عن الإجراءات التعسفية في الشئون الثقافية والتعليمية بين كل من العراق وسوريا ولبنان ومصر . أما اللاجئون الفلسطينيون فإنهم في الوقت الذي كان عبد الناصر يدعوهم في خطاباته " بإخواننا العرب شعب فلسطين " كانوا يعاملون أسوأ المعاملة – كأنهم أجانب – في مصر والبلاد العربية المضيفة لهم . ومع كل هذا فقد نمت تلك " الأسطورة " وترعرت وأصبحت – على حد تعبير بعض المصادر المطلعة – القوة المسيطرة في سياسة العالم العربي في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات . بل لقد أصبحت بالنسبة للعرب حقيقة بقدر ما أصبح " بابا نويل " حقيقة عن الأطفال يوزع عليهم للعب والهدايا عشية عيد الميلاد .

---

(1) الاتحاد الكونفدرالي هو اتحاد دائم للدول ذات السيادة للعمل المشترك فيما يتعلق بالدول الأخرى. عادة ما تبدأ بمعاهدة ولكنها غالبا ما تلجأ في وقت لاحق لاعتماد دستور مشترك، غالبا ما تنشأ الكوفدراليات للتعامل مع القضايا الحساسة مثل الدفاع والشؤون الخارجية أو العملة المشتركة، حيث يتعين على الحكومة المركزية لتوفير الدعم لجميع الأعضاء.

(2) نصت المادة الثانية في ميثاق الجامعة العربية على الآتي : " الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها،وتنسيق خططها السياسية، تحقيقاً للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها،والنظر بصفة عامة في شئون البلاد العربية ومصالحها ، كذلك من أغراضها تعاون الدول المشتركة فيها تعاوناً وثيقاً بحسب نظم كل دولة منها وأحوالها في الشئون الآتية : أ. الشئون الاقتصادية والمالية،ويدخل في ذلك التبادل التجاري،والجمارك،والعملة،وأمور الزراعة والصناعة . ب. شئون المواصلات،ويدخل في ذلك السكك الحديدية،والطرق والطيران،والملاحة،والبرق،والبريد . ج. شئون الثقافة . د. شئون الجنسية،والجوازات،والتأشيرات،وتنفيذ الأحكام وتسليم المجرمين . هـ. الشئون الاجتماعية . و. الشئون الصحية . وعلاوة على ذلك، الدول التي وقعت على اتفاقِ الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي في ١٣ أبريل ١٩٥٠ ملزمةٌ على تنسيق تدابير الدفاع العسكري .

وعلى أي حال فإن هذا الاتجاه لم يكن مسيطراً لدرجة كافية لقد أفلح عبد ناصر في فتح طريق قليل المصاعب والمقاومة أمام الزعماء العرب وهو طريق "أسطورة القومية العربية" – أو طريق الترغيب – كما تفهمه القاهرة إلا أنه ما زال هناك بعض قادة العرب الأقوياء يكنون كراهية للقاهرة ويصرون على أن يسيروا في ذلك الطريق وحدهم دون وصاية عبد الناصر عليهم ، ودون الانتساب إلى جمعيته وهكذا وجد ناصر نفسه مضطراً لأن يسلك " طريق الترهيب " لاستكمال عناصر " جمعيته " ولإخضاع من شق عليه عصا الطاعة . [1]

ولم يكن طريق الترهيب سوى سلق عبد الناصر الحكامَ العرب المعارضين لزعامته بألسنة حداد ، وتسليط صحفه وإذاعته (صوت العرب) ترميهم بكل تهمة وتصفهم بكل مذمة ؟! بل وتأّلِّيب شعوبهم عليهم ودعوته الصريحة لهم للثورة على هؤلاء العملاء الخونة ، بل وصل الأمر به إلى مد الموالين له في البلاد العربية بالأموال والسلاح للقيام بانقلابات ضد حكامهم المعارضين لسياسته .

عبد الناصر يستبدل وحدة الهدف بوحدة الصف

لم تنجح دعوة عبد الناصر قي تجميع الدول العربية في جمهورية واحدة متحدة إلا مع دولة واحدة وهي سوريا ولم يستمر هذه الاتحاد طويلاً ثلاث سنوات فقط (١٩٥٨ – ١٩٦١) كلها مليئة بالصراعات والخلافات والمؤامرات وعلى رغم المبالغ الضخمة التي أنفقها عبد الناصر لإنجاح هذا الاتحاد إلا أنه فشل وتم انفصال سوريا عن مصر بطريقة مهينة لمصر ولزعيمها ، ولعبد الحكيم عامر حاكم إقليمها الشمالي وإزاء هذا الفشل في الوحدة الأولى والأخيرة استبدل عبد الناصر بوحدة الصف العربي وحدة الهدف فبدلاً من الدعوة إلى توحد العرب رغم اختلاف طبيعة نظمهم وأساليب حكمهم دعا عبد الناصر إلى وجوب أن يسلك العرب طريقاً واحداً لا ثاني له لكي يتوحدوا وهو الطريق الاشتراكي التقدمي الذي اتخذته مصر منهجاً ودستوراً ابتداء من

([1]) مايلز كوبلاند " لعبة الأمم " تعريب مروان خير مرجع سابق ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

١٩٦١ ، وفي سبيل ذلك لم يشن عبد الناصر الحرب على فكرة وحدة الصف التي ظل لأكثر من ثماني سنوات ينادي بها فحسب بل شن حروباً حقيقية – وليست فقط كلامية – ضد الدول التي أسماها رجعية لأنها رفضت الطريق الاشتراكي التقدمي .

يقول مالكولم كير في كتابه "عبد الناصر والحرب العربية الباردة": "هذا التحول وجد في نفسية عبد الناصر تجاوباً وتغييراً في الشعارات حيث كان من المألوف سابقاً التحدث عن وحدة الصف العربي بين أنظمة الحكم العربية ذات السياسات الداخلية المختلفة ليحسن مواجهة الأخطار والضغوط الخارجية، فإن وحدة الصف العربي الآن أفسحت المجال لفكرة وحدة الهدف، وقد وُجِّه للشعار الجديد اتهامات من دمشق وعمان والرياض بأن ناصر كان يحطم التضامن العربي".[١]

هجوم عبد الناصر على الدعوة إلى وحدة الصف العربي

يقول عبد الناصر : " السنة اللى فاتت لما اتكلمت معاكم فى عيد الوحدة بعد الانفصال بستة أشهر اتكلمت عن وحدة الهدف وكان شعار جديد لنا، يعنى قلت حاجتين: إن وحدة الهدف هي الأساس مش وحدة الصف، لأن وحدة الصف بدون وحدة هدف لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تمكن وحدة أو أن تقيم وحدة، وقلت إن احنا لن نهادن الرجعية، وان احنا نصمم على وحدة الهدف وندعم وحدة الهدف. ولكن وحدة الصف دا كان شعار كانوا بيطلقوه السياسيين العرب دائماً من أجل خداع الشعوب العربية، كانوا يختلفوا ويطلعوا قدام الناس يتصوروا ويقولوا وحدة الصف. " [٢]

العجيب أن عبد الناصر يتنصل من دعوته بوحدة الصف العربي ويلصقها بأعدائه من الرجعيين العرب !! رغم أنه يعترف في نفس الخطبة بأنه هو الذي تبنى رأياً جديداً بديلاً عما كان ينادي به من وحدة الصف وهذا الشعار الجديد هو وحدة

([1]) نقلاً عن مالكولم كير " عبد الناصر والحرب العربية الباردة " ترجمة د. عبد الرءوف أحمد الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٦٨ .

([2]) من خطاب جمال عبد الناصر في الاحتفال الشعبي بمناسبة العيد الخامس للوحدة ١٩٦٣/٠٢/٢١ .

obeikandl.com

الهدف. والأدهى من ذلك أن عبد الناصر بدأ يكيل الاتهامات لمن ينادي بوحدة الصف العربي !!

يقول عبد الناصر : " هناك من يتكلمون اليوم عن وحدة الصف العربي، سنين طويلة بنسمع ناس بتتكلم عن وحدة الصف العربي، من أيام نورى السعيد يقولوا وحدة الصف العربي، وحدة الصف العربي لأى هدف؟ هل وحدة الصف العربي لخدمة الاحتلال وأهداف الاحتلال ؟ أو وحدة الصف العربي لخدمة أهداف الأمة العربية وتحقيقها ؟ وحدة الهدف هي أهم من وحدة الصف، نحن نطالب بوحدة الهدف، ولكنا ننظر إلى الشعارات والنداءات التي تنادى بوحدة الصف بنوع من الشك ونوع من الريبة؛ لأن وحدة الصف مع الاختلاف في الهدف إنما تسوق الأمة العربية كلها إلى الخطر... ولكن الحكام وبعض الحكام العرب يختلفون في الهدف ثم يزيفون الشعارات ويطالبوا بوحدة الصف العربي. طبعاً في هذه المعركة العنيفة لابد لنا أن نتوقع كل شيء ؛ تزييف الشعارات، الرجعية تقول وحدة الصف العربي، والرجعية بتنادى بالاشتراكية وأعوان الاستعمار بينادوا بالحرية. " [1]

ولا أدري من يغيِّر الشعارات ويزيفها !! ومن الغريب دهشة عبد الناصر من اتهام الحكام العرب له بأنه يحاول تمزيق وحدة الأمة بشعاره الجديد !!

هجوم عبد الناصر على الحكام العرب

يقول عبد الناصر : "ويقولوا دا جمال عبد الناصر هو المسئول عن تفتيت الصف العربي، احنا عايزين وحدة الصف العربى. أنا باقول أبداً، أنا عايز وحدة الهدف العربي قبل ما اتكلم على وحدة الصف العربى، وحدة الصف العربي من أجل إيه؟ من أجل تسليم اللد والرملة ؟ [2] المعركة مع الصهيونية هي معركة مع الاحتلال وأعوان الاحتلال ، وهى أيضاً معركة مع الرجعية.

([1]) من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى عيد الوحدة من ميدان الجمهورية ١٩٦٢/٠٢/٢٢ .

([2]) هذه إشارة إلى ما فعله الملك عبد الله أبو الملك حسين ملك الأردن من تسليم اللد والرملة لليهود في حرب فلسطين .

وبعدين يتكلموا عن التضامن العربي والأخوة العربية والوحدة العربية، والواحد من دول بيتكلم عن التضامن العربي وتبص تلاقيه فى إيده قنبلة أو في إيده خنجر، أو بيكلمك عن التضامن العربي وبيدفع لواحد ٢ مليون جنيه علشان يخلص عليك أو علشان يخلص على الوحدة، أو القصص اللى انتم عارفنها كلها. إذن أساليب التضامن العربي ووحدة الصف العربي لا مهادنة مع الرجعية، هذه الأساليب لن تنطلي علينا. النهارده ان احنا بنقول هدفنا وحدة الهدف، ويتكلموا عن الحملات، ويقولوا دا انتم بتشتمونا، احنا هي العملية ما بنشتركش في حملات، واحنا ما بنشتمش، احنا بنتكلم على مبادئ، طول عمرنا بنتكلم على مبادئ." [١]

ونحن لا نبرأ الحكام العرب من محاولة حياكة المؤامرات ضد عبد الناصر وقوميته العربية لكننا نؤكد أنها – غالباً – ردود أفعال لتلك المؤامرات التي كان يحيكها عبد الناصر ضدهم ، أما أسلوب الشتائم المتبادل بين عبد الناصر وبعض الحكام العرب فإن عبد الناصر بالقطع يحوز قصب السبق فيه .

في خطابه يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٦٢ يقول عبد الناصر عن خسائر مصر في اليمن حتى ذلك التاريخ : " الخسايرر اللى عندنا ١٣٦ ضابط وعسكرى، الضباط ٢١ والجنود ١١٥، كل واحد فيهم جزمته أشرف من تاج الملك سعود والملك حسين (تصفيق) ."

وفي خطاب آخر يقول : " وزى أنا ما قلت ان احنا آن لنا ان احنا نفوق لنفسنا ونعلم أن الوحدة لا يمكن أن تتحقق إلا إذا كانت وحدة هدف؛ لأن وحدة الصف بدون وحدة هدف كلام ضحكوا علينا به في الماضي، وبالعقل وبالمنطق لا يمكن أن يتحقق، ازاى نبقى وحدة صف وواحد مصمم انه يبقى مستقل، والثاني واخد نفسه ورايح على لندن أو رايح يتفق مع تل أبيب! مافيش أبداً وحدة صف تتحقق إلا بوحدة الهدف . [٢]

([1]) من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى عيد الوحدة من ميدان الجمهورية ١٩٦٢/٠٢/٢٢ .

([2]) من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر الشعبي بأسوان للاحتفال بمرور ثلاث سنوات على بدء العمل في بناء السد ١٩٦٣/٠١/٠٩ .

عبد الناصر يحرّض الشعوب العربية على حكامها

ولم يكتف عبد الناصر بسب حكام العرب بل راح يؤلب عليهم شعوبهم ، ويتحالف مع المعارضين لسياستهم . بل يجعل تحالفه مع الموالين له من أبناء الشعوب العربية للإطاحة بحكامهم دستوراً ثابتاً لا رأياً عارضاً فقد جاء في الميثاق الوطني ما نصه : " وإذا كانت الجمهورية العربية المتحدة تشعر أن واجبها المؤكد يحتم عليها مساندة كل حركة شعبية وطنية، فإن هذه المساندة يجب أن تظل في إطار المبادئ الأساسية تاركة مناورات الصراع ذاته للعناصر المحلية تجمع له الطاقات الوطنية، وتدفعه إلى أهدافه وفق التطور المحلى وإمكانياته، كذلك فإن الجمهورية العربية المتحدة مطالبة بأن تفتح مجال التعاون بين جميع الحركات الوطنية التقدمية في العالم العربي، إنها مطالبة بأن تتفاعل معها فكريّاً من أجل التجربة المشتركة، لكنها في نفس الوقت لا تستطيع أن تفرض عليها صيغة محددة لصنع التقدم. (١)

وهذا تحريض مباشر على تأليب الحركات التقدمية (الناصرية والشيوعية واليسارية والقومية) على حكامها ، وتدخلاً سافراً في الشئون الداخلية لبلاد مستقلة أعضاء في الجامعة العربية .

ويصر عبد الناصر أنه لا أمل في إقامة أي نظام آخر غير وحدة الهدف فردّاً على سؤال وفد بولندا "سيميجور سيفسكى : " ما هو رأى سيادتكم بشأن مستقبل العلاقات بين الدول العربية؟ وهل من الضروري أن تقيم اتحاد كنفيدرالى أو فيدرالي أو أي شكل أخر من أشكال الاتحاد ؟

الرئيس: احنا زى ما قلنا إن الاتحاد بالنسبة لنا هو وحدة الهدف وليس وحدة الصف؛ لأن إذا تناقضت الأهداف لا يمكن للنظام التقدمي انه يتحد مع النظام الرجعى. (٢)

---

(1) من عبد الناصر في تقديم الميثاق الوطني من جامعة القاهرة ١٩٦٢/٥/٢١ .
(2) إجابات الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر الدولي من قاعة مجلس الأمة ١٩٦٣/١٠/١ .

obeikandi.com

ويؤكد هيكل كلام عبد ناصر وإصراره على وحدة الهدف أي وجوب إيمان الحكام العرب بحتمية الحل الاشتراكي كسبيل وحيد لوحدة الهدف ، والرفض التام لوحدة الصف التي كانت مصر / عبد الناصر تنادي بها قبل فشل الوحدة بل إنه يقرر أن النظام الناصري سوف يواجه هذه الوحدة بكل حزم !!

يقول هيكل : " مصر كدولة تتعامل مع كل الحكومات العربية أيّاً كان نظامها وتتخذ مكانها إلى جانبهم في الجامعة العربية ، وكذلك الأمم المتحدة ، وتعقد معها الاتفاقات سواء أكانت دفاعية وتجارية أو ثقافية .. الخ .. ومصر كثورة تتعامل مع الشعوب فقط ، ولن تتردد في القيام بدورها ولا تفضل أن تقف عند الحدود ، ولكن يجب أن تحمل رسالتها من خلال حركتها ، ولا حق لنا بأن نفصل أنفسنا عن نضال المواطنين الآخرين لأمتنا ، إن مصر كثورة لن تكون حكومة القاهرة ، ولكنها حزب تقدمي ضمن إطار الأمة العربية ، وبالتالي يجب أن تحدد كل العناصر التقدمية للأمة وتقف إلى جانبهم بشكل علني وتدعم موقفهم ويجب أن نعمل ما في وسعنا للتعاون مع الحكومات ، ولكن يجب ألا نمد ذلك التعاون إلى الدرجة التي تتأثر بها الحركات الشعبية ، وإذا ما استخدمت الجامعة العربية لشل حركتنا فسنكون مستعدين لتجميد عمليات تلك المؤسسة وسنكون مستعدين أيضاً لقطع العلاقات الرسمية مع أي بلد عربي تحكمه القوى الرجعية إذا ما اشتدَّ الضغط علينا لوقف ميلنا الطبيعي للحرية والاشتراكية والوحدة لكل شعوب الأمة العربية " [١] .

ولقد حاولت بعض الدول العربية إقامة اتحاد فيدرالي مع مصر مع الحفاظ على بعض النظم السياسة الخاصة بها والتي لا تتعارض مع وحدة الصف العربي ، ولكن عبد الناصر أصرَّ على خضوع هذه الدول التام للسياسة الناصرية ، والتسليم للزعامة المصرية بإدارة شئون دولتها بغير قيد أو شرط !!

ويروي محمد حسنين هيكل أن كامل الجادرجي قد قدم إلى القاهرة ،وعرض خلال مباحثاته مع الرئيس عبد الناصر إقامة اتحاد فيدرالي بين الجمهورية العربية المتحدة

([1]) محمد حسنين هيكل جريدة الأهرام في ٢٩ / ١٢ / ١٩٦٢ .

وجمهورية العراق على أساس أن يكون هناك رئيس واحد ، وأن تكون وحدة كاملة في قيادة القوات المسلحة وتوجيه واحد لسياسة الاتحاد ، ومقابل ذلك يسمح للأحزاب بأن تباشر نشاطها في داخل الاتحاد [١] ورفض عبد الناصر ؛ لأن قضية التنظيم الواحد كانت مبدأ لا يمكن التنازل عنه من وجهة نظره مهما أدت إلى كوارث ! [٢]

لقد ظلت الساحة العربية تموج لفترة طويلة بجيوش من الناصريين ، ولكن تصميم الناصرية على فرض نموذجها غير المقبول ، نموذج التنظيم الوحيد غير الفعال وغير القادر على الحركة قد دفع الكثيرين إلى تنظيم أنفسهم تحت رايات أخرى أو حتى تحت رايات ناصرية مستقلة هي في جوهرها تمرد على الفكرة الناصرية . [٣]

عبد الناصر والحرب العربية الباردة

إذا كانت هناك حرب باردة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي بدأت بعد الحرب العالمية الثانية ، فإن ثمة حرباً عربية باردة بين النظام الناصري ، والأنظمة العربية غير الموالية له بدأت بعد سطوع نجم عبد الناصر بعد حرب السويس وجلاء العدوان الثلاثي .

يقول الفريق أول محمد فوزي: "وتحدد شكل الصراع على مستوى الوطن العربي بأن احتوت القومية العربية بزعامة عبد الناصر جميع الدول التقدمية في العالم العربي، بينما احتوت الولايات المتحدة الأمريكية تساعدها بريطانيا بما بقي لها من نفوذ في المنطقة الدول العربية الأخرى مما أدى إلى انقسام دول الوطن العربي." [٤]

وهكذا فإن الدول العربية التي في الحلف الناصري توصف بأنها دول تقدمية، أما الدول العربية الأخرى التي رفضت أن تُجَر من أنفها خلف الزعيم فتوصف –من قبل النظام الناصري– بالعمالة للدول الاستعمارية: أمريكا وانجلترا.

([1]) جريدة الأهرام ٣١– ١– ١٩٥٩ .
([2]) د. رفعت السعيد " تأملات في الناصرية " مرجع سابق ص ١٣٥ .
([3]) د. رفعت السعيد " تأملات في الناصرية " مرجع سابق ص ٩٩ .
([4]) مذكرات الفريق أول محمد فوزي " " حرب الثلاثة سنوات ١٩٦٧ / ١٩٧٠ " مرجع سابق ١٨.

obeikandl.com

يقول عبد الناصر: "إسرائيل وقفت دايماً ضد الوحدة.. إسرائيل وقفت دايماً ضد القومية العربية .. وتشعر أن التفرقة تمكنها من أن تجد بين حكام الأمة العربية من يستعد للطعن في الظهر، من يتآمر مع الاحتلال لضرب العمل العربي الثوري من أجل تحرير فلسطين. إسرائيل تعرف من في الدول العربية مستعد يقوم بهذا الدور .. الوحدة ماكانش أعداؤها أبداً بس الاحتلال وإسرائيل، ولكن القوى الرجعية في العالم العربي تحالفت مع الاحتلال ضد القومية العربية وضد الوحدة، القوى المعادية للتقدم كلها تعادى الوحدة، ليه ؟ " [1]

وماذا نتج عن تقسيم النظام الناصري للدول العربية إلى دول ثورية يجلب أن تُعَان وتُؤَيد ، وأخرى رجعية يجب أن تُحارب وتُعادَى ؟

يقول عبد الناصر : " واجبنا إن احنا نتصدى للرجعية.. والرجعية اللى صممت على أن تقتلنا، احنا أيضاً صممنا على أن احنا نقتلها، وبندخل معاها معركة حياة أو موت، ولكن الحياة للأصلح والموت للرجعية ." [2]

ويقول عبد الناصر في إحدى خطبه : " الملك فيصل والملك حسين بيشغلوهم الأمريكان وبيشغلوهم الإنجليز، والإنجليز طبعاً وأمريكا أيضاً قرروا من الأول فى المرحلة الأخيرة إنهم ما يدخلوش مع الأمة العربية ولا الثورة العربية فى مواجهة ولكن يدخلوا عن طريق العملاء، ولقوا عميل من الأسرة الهاشمية، وعميل فى المملكة العربية ومشيوا معاهم، خطة أمريكا كانت إنها توجههم، وفى نفس الوقت مبنية على ان احنا نسكت.. طيب هل ننفذ لها خطتها ونسكت؟ مش ممكن ننفذ الخطة ونسكت.. ملكيين هجاصين، قاعدين عند الملك فيصل عمالين ياخدوا منه فلوس، عمال يضحك عليهم ويضحكوا عليه، وكل واحد فيهم بيضحك على التانى، وأنا قلت لو دخلوا ناس من السعودية حنضرب جيزان ونجران، وقلت هذا الكلام وباقوله كل

([1])من خطبة للرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ٢٢ / ٢ / ١٩٦٦ .

([2]) من خطبة للرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ٢٣/ ١٢ / ١٩٦٦ .

obeikandl.com

مرة، وباكرره كل مرة، وان احنا لابد أن نحتل مواقع العدوان. فيه وحدة بين الملك حسين العميل والملك فيصل العميل؛ إذن لازم تكون فيه وحدة بين القوى الثورية، أما تقوم ثورة فى اليمن والملك حسين وفيصل بيقولوا انهم عايزين يضربوا ثورة اليمن.. بنسيبهم علشان يضربوهم الإنجليز والأمريكان والملك فيصل والملك حسين، أو نقف معاهم؛ احنا أعلنا ان احنا واقفين معاهم " [1] .

وهكذا لم يكتف عبد الناصر بحرب كلامية مع المعارضين لسياسته من الحكام العرب بل وصل به الأمر إلى إشعال حرب عربية / عربية على أرض اليمن التي اتخذها عبد الناصر ذريعة ليس فقط للقضاء على النظام الملكي في اليمن بل والانطلاق منها إلى مهاجمة السعودية ، والأردن كذلك .

أسباب غياب الأمن القومي العربي

ويخبرنا الفريق فوزي – وهو رجل من رجال عبد الناصر – عن نتيجة الصراع العربي / العربي وتأثيره على الأمن القومي العربي فيقول : " وقد نتج عن هذا الانقسام عدم تحقيق الحد الأدنى للتضامن العربي وفشل جميع مؤتمرات القمة العربية حتى عام ١٩٦٧ ، بالإضافة إلى عدم فاعلية أجهزة ووسائل الجامعة العربية خاصة مجلس الدفاع العربي ، ولجنة التخطيط العسكري التابعة للجامعة العربية ، ومجلس رؤساء هيئة أركان حرب الجيوش العربية وأخيراً القيادة العربية الموحدة .

في خضم هذه الصراعات الضاربة سواء بين دول المنطقة ، والدول الخارجة عنها أو بين المنطقة نفسها ، غاب مفهوم الأمن القومي العربي ، والأمن القومي لأي دولة أو مجموعة من الدول هو بداية الحكمة كما يقولون . ومفهوم الأمن القومي يعني تحديد الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإستراتيجية التي يتحقق في ظلها أمن المجتمع وسلامته كما يعني تحديد الظروف أو المواقف التي تشكل خطراً على هذا الوطن .

([1]) من خطبة للرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ٢٣/ ١٢ / ١٩٦٦ .

الأمن العربي إذن – ليس مسألة عسكرية فحسب – بل قضية متعددة الأبعاد والعوامل تختلط فيها السياسة بالاقتصاد والجغرافيا بالعسكرية ، والوضع الاجتماعي بالأمن والنظام السياسي بالإستراتيجية .

وللأسف لم يكن هناك مفهوم عربي للأمن يتناول العلاقات القائمة بين شعوب الأمة العربية وطبيعة انتماءاتها وتطلعاتها بل كانت هذه الصراعات والانقسامات وعدم فاعلية الأجهزة العربية ، والبيروقراطية العسكرية التي تولدت في مصر بعد الثورة هي مدخل الولايات المتحدة لتدعيم إسرائيل وتجهيزها بالأسلحة والمعدات ودعمها سياسيّاً واقتصاديّاً ، استعداداً لضربة تقضي على فكرة القومية العربية والمد الثوري القومي في المنطقة ، وانتظرت الولايات المتحدة إلى أن حانت الفرصة في ١٩٦٧. " [١]

ولم يستفد عبد الناصر من القومية العربية إلا الدعاية الشخصية له ، وإثارة القلاقل في البلاد العربية ، وإسقاط فكرة الدفاع العربي المشترك عمليّاً .

يقول الفريق فوزي : " وكان الفريق عبد المنعم رياض الذي عين رئيساً لأركان هذه القيادة هو المحرك لنشاطها في أغلب دول المواجهة ما عدا مصر إذ إنه كان شبه مبعد عن القوات المصرية لأنه ليس مقرباً من المشير ومجموعته . وبناء على ذلك فإن اسم القيادة الموحدة كان رمزاً فقط وغير مؤثر في وقت السلم أو في وقت الحرب فلم يكن هناك أي دور فعَّال للفريق أول علي علي عامر ولقيادته الموحدة بسبب عدم وجود سلطات حقيقية لهذه القيادة ستطيع من خلالها السيطرة وقيادة الجيوش العربية التي خطط لها فيما قبل عام ١٩٦٧ إذن فقد كانت مجرد قياد موحدة دون أن يكون لها جيوشه موحدة .

بالرغم من وجود اتفاقية ثنائية عام ١٩٦٦ بين مصر وسوريا للدفاع المشترك ضد عمليات التوسع الإسرائيلي [وليس من أجل تحرير فلسطين] فإن عملية التنسيق لم تتعد التخطيط النظري .

([1]) مذكرات الفريق أول محمد فوزي " " حرب الثلاثة سنوات ١٩٦٧ / ١٩٧٠ " مرجع سابق ١٨.

وضعت خطط تبادلية كثيرة أغلبها خطط دفاعية وقائية اتفقت عليها بنفسي مع رئيس أركان القوات السورية أحمد سويدان ، وكان من ضمن هذه الخطط قيام إحدى الدولتين بهجوم جوي على مطارات العدو في حالة اعتداء إسرائيل على إحدى الدولتين ولم تنفذ أي من هذه الخطط عندما حان الوقت لتنفيذها . " [١]

نتائج دعوة عبد الناصر إلى قوميته العربية

يصرح عبد الحكيم عامر في وصيته بأن مصر لم تجن من فكرة القومية العربية التي تبناها عبد الناصر إلا الخراب الاقتصادي والهزائم العسكرية : " ولقد أخبرت الرئيس في منتصف مايو الماضي (١٩٦٧) أني أفضل عدم الاعتماد علي الجيش السوري في حالة الصدام المسلح وأرضنا الطيبة هي أكبر وأعظم الدول العربية وأكثرها قوة من الناحية العسكرية وأكثرها تطوراً ومن الخطأ محاولة كسب رضاء الدول العربية بكافة الأساليب وينبغي علينا تعليمهم أن يستفيدوا من تجربتنا ومن ثورتنا وإنجازاتها بدون التورط ونستطيع أن نعيش بكرامة وشرف بدون أن نطلب المساعدة إذا استخدمت إمكاناتنا لخدمة غرض تحقيق الاكتفاء الذاتي ولابد أن نحدد مقدار التزامنا مع الدول العربية والإفريقية وكان ينبغي عليها رعاية شعبنا بدلاً من الانخراط في ثورات وحروب الآخرين وإهدار آلاف الملايين من الجنيهات الأمر الذي دمر اقتصادنا وتسببت لنا في تحمل عار كبير والآن وبعد فوات الأوان أدرك أن الرئيس أهمل مصر وهذا هو سبب فشلنا وكان يمكن أن نتعلم من خبرة الآخرين فمثلاً كرَّس الاتحاد السوفيتي كل موارده منذ الثورة الشيوعية وحتى الحرب العالمية الثانية في تعزيز أوضاعه المحلية وكانت الولايات المتحدة كذلك حين كانت سياستها الخارجية قائمة علي عدم التدخل والآن بعد أن غيرت الدولتان سياستهما وبدأتا فرض نفسيهما على العالم فهما يدفعان الثمن غالياً فإذا كان بوسع هاتين الدولتين أن تهدر المال والوقت فنحن لسنا كذلك فمن الأفضل أن يكرس كل جنيه وكل مصري لخدمة مصر

([1]) مذكرات الفريق أول محمد فوزي " " حرب الثلاثة سنوات ١٩٦٧ / ١٩٧٠ " مرجع سابق ٤٨.

لقد جعلتنا المظاهر ننسى الهدف الرئيسي من وراء ثورتنا وهو توفير حياة كريمة لشعبنا فلو كنا حافظنا علي هذا الهدف نصب أعيننا لكنا وفرنا علي شعبنا الكثير من المآسي فمصير مصر ومستقبلها في أيدينا ومن داخل مصر نفسها وحين حاولنا البحث عن حل خارج مصر دفعنا ثمناً غالياً." [1]

والحقيقة أن عبد الناصر في دعوته إلى القومية العربية لم يجلب على مصر فقط الخراب الاقتصادي والهزائم العسكرية وفقدان الأمن القومي تلك الخسائر التي تحدث عنها الفريق فوزي والمشير عبد الحكيم بل أحدثت قومية عبد الناصر شروخاً غائرة في العلاقات العربية / العربية فقد أساء إلى الكثير من البلاد العربية إساءات بالغة إذ تخيل أن القومية العربية يمكن أن تفرض بالإرهاب وبقوة السلاح، وتوهم أن من حقه أن يغير ويبدل في أحوال الشعوب العربية الأخرى رغماً عن أنوف حكامها وحكوماتها!

إساءة عبد الناصر للحكام العرب

يقول إبراهيم سعدة الكاتب الصحفي الكبير في كتابه " سنوات الهوان " : "الذي يرجع للصحف المصرية وبالذات في أوائل الستينات سيقرأ ما لا يصدقه عقل أو يقبله منطق . شتائم سوقية ، واتهامات قذرة ، وتهديدات فارغة ، ومؤامرات مكشوفة ، ومخططات ساذجة ، والذي يتذكر ما كانت تقوله إذاعة صوت العرب لا بد أن يشعر " بالقرف " فقد كانت إذاعة من أجل تشتيت العرب لا من أجل جمعهم كان المذيع الجهوري الصوت يصرخ ويطالب بالثورة على جميع الأنظمة العربية التي يتهمها بكل بساطة بأنها أنظمة رجعية ، وعميلة ، ومتعفنة ، وربما يتذكر بعضنا الخطب الرنانة التي سمعناها من مراكز القوى الغابرة وهي تصف العاهل السعودي مرة بالجنون ، وأخرى بالفساد ، وثالثة بالخيانة والعمالة للإمبريالية الأمريكية .

([1]) من وصية المشير عبد الحكيم التي ترجمتها جريدة " الجمهورية " عن مجلة " لايف " الأمريكية ونشرتها يوم ٢٦ / ١١/ ٢٠٠٩ .

obeikandl.com

وعندما تورطنا في حرب اليمن كانت أحلام عبد الناصر أن يستتب له الأمر في اليمن ليبدأ من أرضه حربه المقدسة للإطاحة بالحكم الملكي في السعودية . وبالفعل أغارت الطائرات المصرية على المواقع السعودية ، كما أغارت الطائرات السعودية على المواقع المصرية في اليمن ، وقتل الجيش المصري منهم وقتلوا منه ، واستمر العداء واشتد النزاع حتى هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وبعدها ظهر العاهل السعودي على حقيقته ، كان عظيماً ، ونظيفاً ، ومخلصاً لعروبته ولدينه وقدم لمصر أكثر مما قدمته أية دولة أخرى من الدول التي كنا نؤيدها وندعمها عسكريّاً وسياسيّاً وإعلاميّاً على الصعيدين العربي والعالمي .

وكما أساءت القومية الناصرية إلى السعودية أساءت أيضا إلى المغرب ففور وقوع مشكلة محلية تتعلق بالحدود بين المغرب والجزائر سارع عبد الناصر بتبني وجهة النظر الجزائرية ضد وجهة النظر المغربية وأرسل قوات مسلحة لتقف بجانب الجزائر ضد المغرب العربي وبدلاً من القيام بمساع حميدة بين البلدين الشقيقين العربيين والصلح بينهما زاد التدخل المصري المشكلة تعقيدا وقُتِل العربي بسلاح العربي.

وكما أساءت القومية الناصرية إلى المغرب والسعودية أساءت أيضاً إلى الجزائر ففور اختلاف قادة الثورة الجزائرية فيما بينهم ، واتفاق الأغلبية على إقصاء أحمد بن بلاَّ ، وتقبلت جميع الدول العربية هذه التغيرات الداخلية بلا تعليق وبلا رد فعل ثارت مصر عبد الناصر وهددت وتوعدت وفترت العلاقات بين مصر والجزائر فتوراً واضحاً . حتى اندلعت الحرب ضد إسرائيل فتحملت الجزائر مسئوليتها العربية وبادرت بمساندة مصر عسكريّاً وماديّاً ومعنويّاً وعلى حساب خطط تنميتها.

وكما أساءت القومية الناصرية إلى المغرب والسعودية والجزائر أساءت أيضا إلى الأردن .

وجاء وقت توهم عبد الناصر فيه أنه مبعوث العناية الإلهية لتحقيق العدالة الاجتماعية ليس فقط في منطقة الشرق الأوسط وإنما تجاوزها شرقاً وغرباً وجنوباً

وشمالاً ، وتسلطت عليه فكرة تنادي بضرورة قلب نظام الحكم في جميع الدول العربية والإفريقية التي لا تتفق معه سياسيّاً وعقائديّاً ومذهبيّاً ، وأعلنها حرباً لا هوادة فيها على الملكية المتعفنة في بعض الدول العربية الشقيقة ، وكان الملك حسين ملك الأردن هدفاً ظاهراً لحملات تشهير واسعة ، ورد الملك حسين على الهجوم بهجوم مضاد وانشغلت الدولتان في إشعال نيران الكراهية المتبادلة وتوسيع هُوَّة الخلاف بين البلدين وتعرض الملك حسين لسلسلة من المؤامرات للقضاء على نظامه أو على حياته ، ومن أجل تحقيق هذا الهدف تحالف النظام الناصري مع زيد وعبيد من أعداء الملك حسين ، وتعاملنا مع هذا الزيد وذاك العبيد بمنتهى السخاء؛ من أجل الصرف على مؤامرات لم تنجح أبداً ، وظل الملك حسين ملكاً على الأردن ، وقبيل حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ وصل الملك حسين إلى القاهرة وتمت تصفية الخلافات بين القاهرة وعمان من أجل المعركة المشتركة .

وكما أسأنا إلى المغرب والسعودية والجزائر والأردن أسأنا إلى العراق .

نشبت بيننا وبين العراق من الحروب المستمرة والمتقطعة ومنذ سنوات الثورة الأولى، وجاء وقت تخيلنا فيه أن الهدف الأول والأعظم للحكومة المصرية هو قلب النظام الملكي في العراق ، وإعلان الجمهورية مكانه ، وكل المشروعات الحيوية التي تهم الشعب المصري جمدت وتوارت في الصحف الداخلية ؛ لتفسح المجال في الصفحات الأولى لنشر فضائح النظام الملكي العراقي ، وخيانات نوري السعيد وحلفه المشبوه .

وعندما سقطت الملكية في العراق ، وأعلنت الجمهورية مكانها استمرت الحفاوة المصرية لفترة قصيرة ، ثم أعلنت فجأة الحرب الكلامية بين القاهرة وبغداد، وعدنا من جديد نوجه طاقاتنا وأموالنا ومشاعرنا كلها من أجل الإطاحة بحكم "المجنون" عبد الكريم قاسم ، كما وصفناه ، وجندت أجهزة إعلامنا الصحفية والإذاعية من أجل تشويه النظام العراقي والعمل على إسقاطه بأي ثمن وبكل الطرق المشروعة وغير المشروعة .

ومرت سنوات وسقط بعدها عبد الكريم قاسم وجاء بعده عبد السلام عارف وهللنا للعهد الجديد إلى درجة الثمالة ، وعشنا فترة سلام ووئام قصيرة مع العراق ، ولكنها

للأسف كانت قصيرة فقد مات عبد السلام عارف فجأة وتولى شقيقه عبد الرحمن عارف من بعده ولم يعمر طويلاً وتولى حزب البحث الحكم في العراق بقبضة قوية فتهاوت فترة السلام والوئام بين القاهرة وبغداد بسرعة البرق وعدنا إلى الصراعات والمؤامرات والتوجس المستمر وأزمة الثقة المتبادلة . وتوقف الصراع لفترة في أعقاب ٥ يونيو ٦٧ ليعود أشد وأقسى فيما بعد .

وقائمة الدول التي أسأنا إليها لا تنتهي بالعراق فهناك تونس التي سخرنا من رئيسها حبيب بورقيبة واتهمناه بأشياء كثيرة نخجل من ذكرها . وهناك لبنان التي أوشكنا أن نتدخل عسكريّاً لنزيد من تدهور فتنته الأهلية أيام كميل شمعون . وهناك سوريا التي جاءت حركة الانفصال وانهيار الوحدة بينها وبين مصر بمثابة لطمة لسياسية عربية مرسومة بنى عليها قادة القاهرة أجمل الأحلام وأروع الآمال ، وقد تبلور هذا السخط إلى كراهية وإلى عناد وإلى حرقة استمرت لسنوات طويلة، ولم تهدأ إلا قبيل حرب ٥ يونيو ٦٧ .

حتى السودان البلد الشقيق والامتداد الوحدوي الحقيقي لشعب وادي النيل لم يسلم شعبه – من خلال حكومته – من الإساءة واضطر الشعبان – لأول مرة في تاريخهما – إلى مواجهة مرحلة العداء والقطيعة أوشكت في بعض فتراتها أن تنقلب إلى تهديدات .

وإن كانت الدول العربية لم تسلم من آثار العناد المصري والتدخل المستمر في أدق شئونها الداخلية ، فإن الدول غير العربية لاقت ما هو أشد من عناد ،وأبرز مثال لهذه الدول : إيران . [1]

ونكتفي بنموذج واحد من خطب عبد الناصر الموجهة لمعارضيه من الدول العربية للدلالة على الطريقة التي كان يتبعها عبد الناصر في توحيد الصف العربي وتحقيق القومية العربية .

([1]) لمزيد من التفصيل حول الحرب العربية الباردة راجع إبراهيم سعدة " سنوات الهوان " المكتب المصري الحديث فصل : الأشقاء أصبحوا أعداء .

نموذج لخطب عبد الناصر المسيئة

في خطابه يوم ٢٣ ديسمبر عام ١٩٦٦ أعلن : " هناك من الحكام من هم عملاء للاستعمار، والاستعمار اللى حطهم، والاستعمار اللى حاميهم، وأكبر مَثَل على هذا الملك عبد الله .. اترقى الشيخ عبد الله إلى الملك عبد الله وبقى ملك وعنده عرش، حطوه على العرش فانحط وبقى عنده مملكة بيحكمها .. إن الشعوب العربية الأخرى لابد أن تصمم على أن تحكم نفسها بنفسها، وتتخلص من الخيانات وتتخلص من الملوك اللى حطهم الاحتلال وتتخلص من الطبقات المستغلة .. استعبطونا؛ الملك فيصل انتهز الفرصة، وقال إنها فرصة بيتفق مع الأمريكان ويخبط العرش فى السعودية ويشيل أخوه، والملك حسين قال فرصة يثبت نفسه وبعدين أهو يخبط له قرشين من مؤتمرات القمة، ويرجع يخبط له قرشين تانى بعد كده بمناورة من مناوراته من الملك فيصل، ويستغل كل واحد مؤتمرات القمة لأهدافه.. الملك فيصل سافف البلد كلها، وإذا انتقلت دعوة العدالة الاجتماعية مش حيقدر يستعبد البلد.. هو بيحكمها لوحده ومعاه شويه أمراء. الخواجة بورقيبه جا هنا وكرمناه، واحتفلنا به، وقلنا لعل وعسى الرجل يؤمن بالعروبة فعلاً، وطلع من عندنا هنا وانسحب من لسانه.. وطلع يطلب الصلح مع إسرائيل، ويقوم بدوره الانهزامى الانقسامى، هل انسحب من لسانه وحده واللا حد سحب لسانه؟ مش معقول.. بورقيبه واحد سحبه من لسانه؛ وهو على هذا الأساس حب يبيع العرب والعروبة بأى مبلغ.. حب يستفيد من اليهود، من الأمريكان، ومن الألمان.. أهو عايز يستفيد وبس... وعاد حكام الأردن سيرتهم الأولى.. أساليب الغدر والخيانة والعمالة للاستعمار، احنا مشينا معاهم سنة واتنين وثلاثة، وقلنا أيضاً لعل وعسى إن ربنا يكون تاب عليهم.. طلع ما تابش عليهم.

العميل بيفضل طول عمره عميل، الغدَّار يفضل طول عمره غدَّار، والخائن يفضل طول عمره خائن، والرجل اللى باع نفسه مرة باستمرار مستعد انه يبيع نفسه. اتحركوا فى الأردن ضدنا واتحركوا فى السعودية ضدنا، وضد العرب كلهم، واتحرك الخواجة

بورقيبه ضدنا، وضد العرب كلهم، وكان من ورائهم الاحتلال ، وتصوروا إن فى وسعهم أن يحققوا هذه المرة ما عجز غيرهم عنه فى مرات سابقة، هل نجحوا؟ ٣ سنين على القمة قاعدين مستريحين وما عندهمش مشاكل، احنا أعلنا فى يوليو تأجيل مؤتمرات القمة.. ليه أعلنا تأجيل مؤتمرات القمة؟ هؤلاء الناس بيخونوا وبيشتغلوا لحساب الاستعمار، مؤتمرات القمة التى أصبحت مؤتمرات زائفة ومؤتمرات خادعة؛ يجب أن تلتقى قوى الثورة العربية، ووحدة الثوار العرب، ووحدة المناضلين العرب؛ لأن وحدة الثورة ووحدة النضال هى التى تجمع الناس على أن يسيروا فى أى طريق، وكل واحد منهم آمن من الآخر، وآمن إن الآخر يحميه، أما السير مع عملاء الاستعمار والرجعيين فمعناه انهم زى ما عملوا فى ٤٨؛ زى ما عمل الملك عبد الله فى ٤٨ بيعمل الملك حسين فى أى معركة قادمة، ويعمل الملك فيصل، ويعمل الحبيب بورقيبه؛ لأنهم كلهم ساروا فى طريق الملك عبد الله، زى ما عمل الأمير عبد الإله، وزى ما عمل نورى السعيد فى ٤٨. إذن دخولنا أى معركة مع هؤلاء الناس، حيخدعونا، وهم مستعدين يبيعوا الأمة العربية؛ زى ما باعها الملك عبد الله فى سنة ٤٨، وزى ما باع فلسطين نورى السعيد، والأمير عبد الإله فى سنة ٤٨، فيصل النهارده مستعد يبيع فلسطين، مستعد يبيع الأمة العربية، مستعد يجيب بعثة أمريكية وبعثة إنجليزية، ومستعد يعمل أى شىء علشان يضرب الثورة فى اليمن، ويضرب الثورة فى مصر، ويضرب الثورة فى أى بلد عربى. "

أرأيتم إلى أي مدى انحط الخطاب الناصري في حديثه عن ملوك ورؤساء البلاد العربية الذين اختلفوا معه بسبب سياسته في إرغام الحكام العرب على السير خلفه . وهكذا فإن كل حاكم عربي لا يسير خلف الزعيم وثورته يكون رجعيّاً خائناً عميلاً للاستعمار يجب أن يثور عليه شعبه ويخلعوه ويثبتوا ضابطاً ثوريّاً يسير في ركاب الزعيم !!

والسؤال للناصريين والقوميين الذين مازالوا يؤمنون بقومية عبد الناصر . هل ما فعله عبد الناصر مع الحكام العرب وشعوبهم يمتُّ لمبادئ السياسة الراشدة بصلة ؟ هل

حقق القومية العربية التي كان ينشدها ؟ هل خلق بديلاً للجامعة العربية أجدى وأنفع ؟ هل حافظ على الأراضي العربية من العدوان الإسرائيلي ؟

ودونك رأي د. رفعت السعيد – القومي العروبي – في قومية عبد الناصر : " مدت مصر / عبد الناصر كلتا يديها إلى كثير من المناضلين العرب ، وساندت الكثير من التحركات والانتفاضات العربية ، وتحملت العبء كاملاً في ذلك ، بل لعلها ناءت بأكثر مما تستطيع من العبء . وأتى وقت من الزمن كان فيه المقاتلون المصريون يستشهدون على ربى اليمن ، والأسلحة المصرية والمدربون المصريون يتدفقون على عدن ومناطق عربية أخرى . وقبلها كانت مصر تبذل كل طاقتها وكل إمكانياتها من أجل ثوَّار الجزائر معرضة نفسها بذلك إلى انتقام فرنسي تمثل في مشاركة فرنسا في العدوان على مصر .

وهكذا دفعت مصر ثمن عروبتها بالدم والجهد والمال والسلاح ، وسددت ضريبة العروبة بأرواح الآلاف من أبنائها ، وإمكانيات كثيرة إلى غير ما حد .

لكن التجربة – للأسف – لم تثمر الثمرة التي تليق بكل هذه التضحيات .

المواطن المصري العادي يتأمل أحداث السنوات الماضية ويقول : ساعدنا اليمن ومات عدة آلاف هناك ، وبذلنا هناك مالاً كثيراً وجهداً أكثر ثم خرجنا والكثيرون ينقمون علينا ، وساندنا الجزائر حتى استقلَّت ، ثم إذا بالأمور تنقلب ضدنا هناك . وأيدنا عبد الكريم قاسم ثم إذا به عدو لنا ، واتحدنا – على غير حماس منا – مع سوريا ، فإذا بها تنفصل عنا ، والسودان أيضاً ، ومآسٍ أخرى كثيرة .

ثم يمضي المواطن المصري في سلسلة تأملاته ، ويحاول أن يتلمس الأسباب . والسبب ليس أخلاقيّاً بأي حال من الأحوال ، فالجهد المصري ليس منكوراً من أحد، لكن القضية هي أن الناصرية برغم صحة توجهها الأساسي نحو العروبة إلا أنها أخطأت في توجهها نحو الجماهير العربية .

ولنبدأ بالخطأ الأساسي . لقد أقام عبد الناصر نموذجاً من الحكم في مصر ، وبدأ هذا النموذج في بعض مراحله وكأنه حقق نجاحات ساحقة ، واهتدى عبد الناصر

بفكره إلى " أن كل ما هو ناجح هو صحيح " وطالما أن النموذج قد نجح نجاحاً سهلاً في مصر ، فلماذا لا ينجح – أو بدقة – لماذا لا يفرض على كل أرضٍ عربية ؟

وهكذا اجتازت سلبيات الناصرية الحدود المصرية لتجد لنفسها مرتعاً خصباً في الأقطار العربية المختلفة . [١]

متى كف عبد الناصر عن الإساءة إلى الحكام العرب ؟

وبعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ كفَّ عبد الناصر تماماً عن الحديث عن وحدة الهدف التي استمر يدعو لها بل يقاتل في سبيلها لأكثر من ست سنوات (١٩٦١– ١٩٦٧) وبدأ يوجه كل اهتمامه للقضايا الوطنية وتراجعت شعارات : القومية العربية ، وحدة الصف ، ووحدة الهدف لتحل محلها شعارات أخرى مثل : إزالة آثار العدوان، لا صوت يعلو فوق صوت المعركة ، الصمود والردع ، ولقد سقطت كل شعارات عبد الناصر في تجميع العرب خلفه فقد كان يوهمهم أن يستطيع أن يرمي إسرائيل في البحر ومن وراء إسرائيل ، وأن عدوهم الرئيسي هو أمريكا ، التي راح يخطب ودها بعد الهزيمة ويقبل مبادرتها لحل الصراع العربي الإسرائيلي لدرجة أن كل أنصاره قد تخلو عنه واتهموه بالخيانة وقد أعلنت سوريا والعراق رفض مبادرة روجرز الأمريكية التي وافق عليها عبد الناصر كأساس للتسوية كما عارضتها منظمة التحرير الفلسطينية وشنت هجوماً على عبد الناصر فأمر بوقف إذاعاتها من مصر وسارت التظاهرات في بيروت وعمان متهمة الزعيم المصري بالخيانة . [٢]

الحقيقة أن القومية العربية التي يتغنى بها الناصريون لم تجن منها الأمة العربية إلا التمزق والتشتت والانقسام بل والحروب العربية الباردة وأحياناً الحروب العربية الساخنة كما حدث في حرب اليمن .

([1]) د. رفعت السعيد " تأملات في الناصرية " مرجع سابق ص ٩٢ ، ٩٣ .

([2])السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ٨٠.

حرب اليمن

في صيف سنة ١٩٦٢ عقد في لبنان مؤتمر شتورة الذي ضم السعودية وسوريا والأردن والعراق ولبنان بقصد مهاجمة مصر وعزلها ثم ضرب النظام بسبب معاداة النظام الناصري لهؤلاء الحكام ومحاولة إثارة الشعوب العربية ضدهم وبعد هذا المؤتمر بفترة وجيزة نشبت ثورة اليمن التي وجدها عبد الناصر فرصة سانحة للانتقام من الملك سعود الذي كان يتزعم الحملة ضد سياسته العربية ولاسيما أن اليمن تقع على حدود الملكة العربية السعودية مباشرة .

وعن ملابسات حرب اليمن ونتائجها يقول المشير عبد الحكيم عامر في وصيته : " كانت قواتنا المسلحة أكثر القوي الضاربة قوة في المنطقة ومع هذا كانت تتحرك بناء علي اعتبارات سياسية بدون النظر للمتطلبات العسكرية وعندما تم الإطاحة بالملكية في اليمن في سبتمبر ١٩٦٢ طلبت الثورة اليمنية منا المساعدة وقررنا المساعدة بدون مناقشة كافة جوانب الوضع العسكري وحين سألني الرئيس عن رأيي في التدخل العسكري قلت له: إذا كنا سننفذ النظام الجمهوري سيكون لزاماً علينا محاربة الملكيين في اليمن لأن النظام الجديد ليس له قوة عسكرية وكثير من الناس قالوا إن الجمهورية العربية المتحدة لا يمكن أن تظل بلا حراك وهذا الشعور كان العامل الأساسي الذي أثر علي قرار الرئيس ولم نتكبد عناء دراسة التبعات المحلية والعربية والدولية للتدخل أو المسائل السياسية والعسكرية المتعلقة بالأمر وبعد سنوات من التجربة الدموية والمرة أدركنا أن حرب اليمن هي حرب بين القبائل وأننا دخلناها بدون معرفة طبيعة الأرض وعاداتهم وأفكارهم وأشك في إمكانية استمرار النظام الجمهورية بمجرد انسحابنا لماذا أرسل الرئيس أخوتنا وأبناءنا لقتل أخوتهم في اليمن وليقتلوا علي أيديهم ؟ " [١]

يقول الفريق فوزي عن حرب اليمن : " انتهز الرئيس عبد الناصر الفرصة وقرر التدخل ودعم الثورة اليمنية عسكرياً وسياسيّاً أملاً في كسر الحصار السياسي

([1]) من وصية المشير عبد الحكيم التي ترجمتها جريدة " الجمهورية " عن مجلة " لايف " الأمريكية ونشرتها يوم ٢٦ / ١١/ ٢٠٠٩ .

المفروض على مصر عقب حركة الانفصال ... مرت الأيام وتطورت الأحداث الداخلية في اليمن وظهر العداء من جاراتها ضد الحكم الجديد ولم يكن في اليمن كلها – كما ظهر فيما بعد – أي إمكانيات عسكرية أو اقتصادية تسهل توطيد الثورة أو الدعم العسكري البسيط الذي وصل من مصر وزاد من صعوبة الموقف ضعف المعلومات عن اليمن لدرجة أنه لا يوجد خريطة طبوغرافية واحدة عن اليمن .وكانت أول عملية هجومية سريعة تقوم بها هذه الطليعة الصغيرة من القوات على منطقة " صروا " حيث استشهد كل أفراد فصيلة المظلات التي اشتركت فيها ... نشطت القبائل اليمنية المضادة لثورة والمدعمة من الخارج بالإضافة إلى نشاط المخابرات الأمريكية المركزية الموجه ضد الحكم الثوري في اليمن .وقد تمكنت هذه القوى المعادية لثورة اليمن من تطوير الوضع الداخلي مما أحرج موقف القوة الصغيرة التي أرسلتها مصر وأصبحت المسألة صراعاً على السمعة واضطرت إلى إرسال دعم عسكري أكثر الأمر الذي أدى بمرور الزمن إلى إرسال قوات برية كبيرة وصلت إلى ١٣ لواء كما أرسلت معظم كتائب الصاعقة ٧ كتائب ولواء دبابات وكتائب مدفعية ميدان في حدود ١٠ كتائب بالإضافة إلى الوحدات الإدارية .كانت الألوية الأولى التي دفعت إلى اليمن من الأسلحة الغربية القديمة . لكن بمرور الوقت وزيادة القوات إلى اليمن اضطرت القيادة إلى دفع وحدات مسلحة تسليحاً حديثاً كما أرسلت أسراباً من القوات الجوية للنقل والمواصلات وأسراباً مقاتلة وأسراباً مقاتلة قاذفة من أنواع ميج ١٥، ١٧ كما ظلت الطائرت تي. يو ١٦ تعمل في المسرح من قاعدة أسوان الجوية وأرسلت بعض قطع بحرية مختلفة المهام والنوعية وهي مدمرة ٢ فرقاطة ٢ ناقلة ، كاسحة ألغام ، كما أنشأت قيادة لمسرح في اليمن يقودها ضابط برتبة فريق . وقد وصل عدد القوات في عام ١٩٦٤ إلى ٧٠.٠٠٠ مقاتل مصري وكانت الأعمال التي قامت بها هذه القوات حتى عام ١٩٦٤ كافية جداً من وجهة النظر العسكرية إذ كانت القوات المصرية قد حققت السيطرة الكاملة على المثلث الداخلي في اليمن وهو صنعاء – تعز – الحديدة وكان تعزيز هذه المنطقة وسكانها كافياً لإنهاء المهمة العسكرية لمصر في اليمن وذلك حتى نوفمبر ١٩٦٤ .

أما لماذا لم تتخذ القوات المسلحة المصرية أسلوب حرب العصابات في اليمن؟ لا أحد يدري إنما هي السمعة البراقة والمظهر البيروقراطي المستحدث. نتيجة لدخول القوات المصرية في عمق البلاد وبداية مرحلة التعمير والتطوير الاجتماعي ولضمان السيطرة على الأرض والقبائل تولت القوات المصرية مسئولية إدارة شئون الحكم الداخلية فعين القادة حكاماً عسكريين في معظم قطاعات ومدن اليمن الساحلية والداخلية مما شتت القوات ووضع عبئاً إداريّاً إضافيّاً على القوات المحاربة علاوة على الاحتكاك الناشئ عن ذلك مع القبائل وأهالي المدن .

انتهى هذا الوضع بأن أصبحت القوات المسلحة المصرية مسئولة عن اليمن أرضاً وشعباً فاضطرت مصر إلى إرسال الدعم المالي والاقتصادي والمعونات وصلت الحالة إلى إمداد القبائل بالأموال والأسلحة كما ساعدت في بعض النواحي الاجتماعية مثل فتح المدارس وشق الطرق وإدارة أعمال الميناء الوحيد في اليمن (الحديدة) كما فتح اتجاه سياسي وتأييد ثوري ضد الاحتلال البريطاني في اليمن الجنوبي أطلق عليه اسم عملية صلاح الدين .

أما الاستنزاف الحقيقي والخسائر المادية والمعنوية والنفسية فقد وقعت على القوات المسلحة نفسها ومن ثم تأثرت تأثيراً قاتلاً عندما دخلت معركة ١٩٦٧ مباشرة ولم تكد تفرغ من مهمتها في مسرح اليمن .

في نفس الوقت كتب القادة المصريون في اليمن تقارير تفيد بأن هذه الحالة هي أحسن مجال لتدريب القوات المسلحة على القتال العملي بالذخيرة الحية وأضافوا أنه تدريب دموي والحقيقة ليست كذلك على أي مستوى إذ إن ما حدث هو تصادم بأسلوب العصابات ليس أكثر ولم تتم أي عملية عسكرية مشتركة بين أسلحة مختلفة . إذ إن قوة العدو لم تستدع ذلك إطلاقاً . وترتب على ذلك فقدان القوات المسلحة المصرية واجبها الحتمي وهو التدريب ورفع كفاءتها القتالية على أسلوب العمليات المشتركة وهي طبيعة المعركة المنتظرة مع العدو الحقيقي إسرائيل . [١]

([1]) مذكرات الفريق أول محمد فوزي " " حرب الثلاثة سنوات ١٩٦٧ / ١٩٧٠ " مرجع سابق من ٢٢- ٢٦ بتصرف .

وعن عمل القوات المصرية في اليمن يقول رئيس الوزراء اليمني الأسبق محسن العيني : " إن تصرفات عبد الحكيم والسادات في اليمن لم تكن وحدوية وودية بل تصرفات قوات غازية ومحتلة ذات طبيعة عنجهية متسلطة ." [1]

وهكذا تحولت الحروب الكلامية إلى حروب عسكرية وكانت الخلافات العربية التي خلقها عبد الناصر تصب قطعاً في صالح إسرائيل ، ومصالح سياستها التوسعية.

جاء في موسوعة " ناصر " : " إن حرب اليمن التي كان مخططاً لها أن تستمر بضعة أشهر امتدت لسنوات طويلة، وكما تردد في الأوساط العسكرية:"بعثنا لليمن بكتيبة وعززناها بفرقة " مما يعني أن مصر انزلقت وتورطت في حرب طويلة في ظروف وعرة جغرافياً وسياسياً، وبسبب دعم المملكة السعودية للإمام المخلوع وأتباعه، حدث شرخ في الصف العربي ومواجهات بين مصر والسعودية أضرت بوحدة الموقف العربي لسنوات طويلة، ولكن عجلة الزمن لم يكن من الممكن أن تعود للوراء، وبعد النكسة وفي مؤتمر الخرطوم، حدثت المصالحة العربية بين عبد الناصر والملك فيصل الذي دعم مصر بعد النكسة استعداداً لحرب التحرير " [2] .

عبد الناصر وحرب اليمن

بدأت الحرب بقيام عبد الله السلال قائد الحرس الملكي اليميني بمحاولة انقلاب عسكري ضد الإمام البدر ملك اليمن في سبتمبر ١٩٦٢ ، ووجد عبد الناصر أن الفرصة مواتية للانتقام ممن شمت فيه عند انفصال سوريا وعلى رأسهم الملك سعود الذي كان يخشى من زعامة عبد الناصر الذي بدأ يتطلع لقيادة العالم العربي، ومن ثمَّ شرع يتدخل في الشئون العربية ويؤلب الشعوب العربية على حكامها الرجعيين . لذا أرسل عبد الناصر لواءً من القوات المسلحة لمساندة عبد الله السلال قائد الانقلاب فلم قُضِي على الجنود المصريين أرسل لواءً آخر فثالث إلى أن " أصبح لنا في يوم من

([1]) نقلاً عن ويكيبيديا الموسوعة الحرة على النت .

([2]) أ.د. رءوف عباس حامد موسوعة " ناصر " . مرجع سابق .

الأيام ٧٠ ألف جندي هناك لم يتم سحبهم إلا بعد هزيمة ٦٧ عندما اتفق الملك فيصل مع عبد الناصر في مؤتمر الخرطوم . " [١]

يقول هيكل : " اعتبرت السعودية أن الوجود العسكري المصري في اليمن سوف يحمل إلى شبه الجزيرة العربية أفكار الثورة المصرية ، وهكذا بدأ صراع طويل مرير ومن المحزن أن المسائل تدهورت إلى الحد الذي جرت فيه الاستعانة بجنود من المرتزقة الأجانب بلغ عددهم في بعض الأحيان ما بين ١٢ – ١٥ ألفاً من المرتزقة الأجانب : فرنسيين ،وبلجيك ،وألمان ،وإنجليز ؛لقتال الجيش المصري في اليمن " [٢]

لقد كانت حرب اليمن في حقيقتها حرب مصرية / سعودية على أرض اليمن ، الملك سعود يمد أتباع الإمام البدر بالمال والجنود المرتزقة ، وعبد الناصر يمد أتباع عبد الله السلال بالمال والجنود المصريين !!

يقول حمروش : " استمرت حرب اليمن خمس سنوات تقريباً أثَّرت على القدرة القتالية للقوات المسلحة حيث ضعف التدريب وتراخى ، واستهلكت طاقة الجنود في حرب عصابات لم يألفوها ، نشرت النيويورك تايمز يوم ٢٤ مايو ١٩٦٧ أن ٥٠.٠٠٠ جندي مصري قاموا بالهجوم على الملكيين وخسرت القوات المصرية ما يقرب من ١٠.٠٠٠ جندي مصري . كما استنزفت حرب اليمن اقتصاد مصر ". [٣]

ووفقاً لما ذكره هيكل كانت تكلفة حرب اليمن ٥٠٠.٠٠٠ مليون جنيه مصري وبعض الباحثين وصل بهذا المبلغ إلى ١.٥٠٠.٠٠٠ جنيه .

أما الكاتب الصحفي إبراهيم سعده فيذكر في كتابه "سنوات الهوان" أن التكلفة اليومية لحرب اليمن بلغت مليون جنيه إسترليني يوميّاً. وهذه المبالغ وغيرها التي أنفقها عبد الناصر على زعامته كانت كفيلة بحل جميع مشاكل مصر الاقتصادية

([1]) أنور السادات " البحث عن الذات " مرجع سابق ص ١٧٧ .
([2]) محمد حسنين هيكل " وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي " ص ٥٧ .
([3]) أحمد حمروش : ثورة ٢٣ يوليه " ج٢ مرجع سابق ص ٧٦.

obeikandl.com

ووضعها على طريق التقدم، وعلى أقل تقدير كانت تسد حاجة القوات الجوية المصرية لبناء دشم للطائرات المصرية التي تقف في العراء دون حماية، والتي لم يكن في ميزانية عبد الناصر المال الذي تنشأ به دشم لحمايتها من أي عدوان .

وبهذا يكون عبد الناصر قد تسبب في استشهاد أكثر من ٤٥.٠٠٠ جندي[١] فإذا أضفنا إليهم شهداء حرب السويس من الجنود والمدنين الذين تجاوز عددهم أربعة آلاف [٢] يكون عدد من راحوا ضحية زعامة عبد الناصر ٤٩.٠٠٠ بخلاف الذي راحوا نتيجة التعذيب في سجون عبد لناصر ومعتقلاته ، والذين يصل عددهم إلى المئات من النفوس البريئة ، وآلاف الأرواح التي استشهدت في حرب أكتوبر ٧٣ [٣] لاستعادة جرءاً من الأرض التي احتلت في ٥ يونيو ١٩٦٧ التي اعترف عبد الناصر عن مسئوليته الكاملة عنها .

يقول تعالى :﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾ [البقرة : ٩٣] .

﴿مِنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [المائدة : ٣٢] .

وقد جاء في السنن: " لزوال الدنيا عند اللّه أهون من قتل مسلم . "

ونعود ونكرر إن الغالبية العظمى من هذه النفوس الزكية لم تزهق في حرب دفاعية عن الوطن ولا في حرب هجومية لتحرير الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨، إنما زهقت

([1]) ٤٥ ألف جندي هي حاصل مجموع شهداء مصر : في حرب اليمن ١٠ آلاف ، وفي هزيمة ٥ يونيو ٢٥ ألف، وفي حرب الاستنزاف ١٠ ألاف . وهذه هي أقل التقديرات لعدد الشهداء في هذه الحروب ، والحقيقة أن عدد الشهداء أضعاف هذا الرقم .

([2]) يقول المؤرخ الكبير د. يونان لبيب رزق " بلغت خسائرنا من الأرواح أثناء الكفاح في سيناء وبورسعيد في حرب السويس ٢١٠٠ من العسكريين ونحو هذا العدد من المدنيين ، واستشهد في بورسعيد وحدها ألفان من المواطنين " طارق حبيب " ملفات ثورة يوليو " مرجع سابق ص ٢٠٣.

([3]) بلغ عدد الشهداء المصريين في حرب أكتوبر ٧٣ أكثر من ١٥ ألف جندي ، راجع " سنوات الغليان " حسنين هيكل مرجع سابق ص ١٩ .

جميعاً بسبب سوء سياسة عبد الناصر الخارجية والداخلية ، ورغبته في تأمين نظامه داخليّاً ، وتدعيم زعامته عربيّاً حتى ولو على حساب إزهاق آلاف الضحايا، وتدمير الجيش المصري والإساءة إلى سمعته المشهود لها على مر العصور والدهور .

يقول نجيب محفوظ : " لقد كانت أخطاء عبد الناصر كثيرة ولكن خطأه الكبير الذي أثار غضبي عليه هو أنه أضاع فرصة تاريخية نادرة لينقل مصر نقلة حضارية هائلة أشبه بما حدث في اليابان بعد الحرب العالمية الثانية، كانت الظروف مهيأة له، ولكنه أضاع الفرصة، بمعاركه الكثيرة التي خاضها " [1] .

يقول توفيق الحكيم : " فما كادت قناة السويس تستقر في أيدينا بأعجوبة في عام ١٩٥٦ ونرى ذهبها يلمع في أكفنا حتى مضينا نُلْقِي به على تلال اليمن ، وكانت قبائل اليمن التي نريد استمالتها إلى جانبنا لا ترضى بغير الذهب ، فكانت تُلْقَى إليهم من طائراتنا الزكائب الممتلئة بالذهب كما ترمى من الجو لجيوشنا أطنان التموين والغذاء من صفائح الجبن الفاخر والمعلبات واللحوم والفواكه ولكن الشمس الحارقة وعدم وجود ثلاجات كان يفسد هذه الأطعمة ، فتترك في أماكنها مكدسة وقد لعب فيها الدود وانتشرت منها رائحة العفن ، فلا يقربها أحد ، وأهل مصر الجياع المحرومين لا يعرفون أن طعامهم هذا الذي يتمنونه ملقى للحشرات على تراب اليمن السعيد ،وهل استملنا مع ذلك اليمن بِذَهَبِنا ؟ قيل إن القبائل حتى الموالية لنا ، كانت تأخذ ذَهَبَنَا بالنهار وتترصَّد لضباطنا وجنودنا في الليل فتصطادهم وتجز رءوسهم وتبيعها للطرف الآخر غير الموالي ، ثم بعد ذلك انتهى الأمر باليمن كلها أن سارت مخالفة لمصر في اتجاهها السياسي .

إن تاريخ حرب اليمن سيكتب يوماً في صفحات صادقة لنعرف ما جرى هناك، وماذا كانت النتيجة التي خرجنا بها ؟ إن من المؤكد الآن هو أنه بالإضافة إلى الأرواح

([1]) نقلاً عن الكاتبة الصحفية فوزية مهران في حديث لـ " محيط ، شبكة الإعلام العربية " بعنوان "الطاعة العمياء" تسقط الأوطان .. درس لم يدركه عبد الناصر نشر بتاريخ ٢٥ / ٧ / ٢٠٠٩ .

التي ضاعت من جيوشنا وتقدَّر فيما يقال بعشرات الآلاف من الرجال ، فإن المعروف أيضاً أن غطاء الذهب الذي نملكه قد ضاع بأكمله في هذه الحرب الضائعة .

ولكن هل اكتفينا بحربين وهزيمتين ؟ لا .. لا بد من الثالثة ، وكانت حرب وهزيمة ١٩٦٧ أي أنه في مدة نحو عشرة أعوام من سنة ١٩٥٦ إلى سنة ١٩٦٧ قد اسْتَهْلَكْنَا، أو على الأصح ، اسْتَهْلَكَتْنَا ثلاث حروب بثلاثة هزائم ، لا ندري بالضبط كم كلفتنا من آلاف الأرواح ، ولا كم من آلاف الملايين من الجنيهات إنما الذي ذُكر ونُشر أن ما خسرناه في الحروب الأخيرة ، وحدها يقدَّر بنحو أربعة آلاف مليون جنيه (أربعة مليارات) أي كما قيل أيضاً أن هذا المبلغ لو انْفِق على قُرَى مصر البالغ عددها أربعة آلاف قرية لكان نصيب كل قرية مليون جنيه، تَخْلِقُهَا خَلْقاً جديداً وترفعها إلى مستوى قُرى أوربا ، ولكن قُرَانا المصرية بقيت على حالها المحزن التعس وفلاحُنا المسكين بقي على جهله ومرضه وفقره وراحت الملايين التي جاءت من عَرَق مصر لتذهب في الوحل . فوقها هزيمة منكرة . بل فوق الهزيمة المنكرة " [1] .

أطراف الصراع في حرب اليمن

يقول حسنين هيكل : "ولم يكن المهتمون باليمن هم أطراف الاتفاق بين كنيدي وعبد الناصر وإنما كانت هناك عناصر أخرى ليست أقل قوة وقدرة من الأطراف الأصليين الذين وقَّعوا عليه، فقد كانت السعودية عنصراً رئيسيّاً لا يمكن تجاهل أهميته بحكم الجوار، وبحكم التشابك الجغرافي والإنساني، وبحكم أوضاع قبلية غائرة في قرون الزمان. وكذلك كانت بريطانيا عنصراً رئيسيّاً بحكم وجودها العسكري في الجنوب العربي، وهو حقيقة، وبحكم إستراتيجيتها في شرق السويس، وبحكم نظرتها لحركة القومية العربية، وبحكم عدائها لجمال عبد الناصر وهذه كلها أيضا حقائق كذلك كان الأردن، وكذلك كان قاسم في العراق، وكذلك كانت بقايا حكم الانفصال المتهاوي والآيل للسقوط في سوريا. إيران كان لها دور رئيسي، فقد كان الشاه يعتبر أن الشاطئ

([1]) توفيق الحكيم " عودة الوعي " دار الشروق الطبعة الثانية ص ٥٨ ، ٥٩ .

الآخر للخليج العربي وحتى مداخل البحر الأحمر منطقة أمن إيراني . تركيا وباكستان أيضا كان لهما دور بحكم حلف بغداد . فرنسا كانت قريبة، فهي موجودة في جيبوتي، وهي جريحة في الجزائر . ومن الطبيعي أن تهتم .

وإسرائيل كان محققاً أن تجد لنفسها دور بحكم تفاعلات الصراع في الشرق الأوسط. وخارج إطار الدول كانت هناك عناصر مؤثرة أبرزها شركات البترول، والبنوك والمؤسسات الاقتصادية المالية ذات الصلة بالبترول وهي كثيرة وكبيرة . بل إن قبائل اليمن ، الكبرى وحتى الصغرى أصبحت من عناصر المعادلات التي لا يمكن نسيانها"[١]

ويوضح هيكل خطورة جيش المرتزقة في حرب اليمن الذي جمعه ودعمه المعادون للوجود المصري في اليمن فيقول : " على ساحة الحرب في اليمن ظهر عنصر جديد، لا يهمه أن يدوس على أطراف غيره، ولم يكن ظهوره مرة واحدة، وإنما تدرجت عملية ظهوره خطوة بعد خطوة حتى تحول إلى أمر واقع شديد الخطورة وباهظ التكاليف.

كان هذا العنصر هو جيش المرتزقة الأجانب الذين جرى استئجارهم من كل عواصم أوروبا، لكي يقاتلوا ضد القوات المصرية في اليمن ." [٢]

آثار حرب اليمن على معركة يونيو ٦٧

أدى انشغال الجيش المصري في حرب اليمن إلى تشتت جهوده، وكان المستفيد الأول من ذلك هو العدو الإسرائيلي، كما استنزفت حرب اليمن الاقتصاد المصري، وتسببت في توتر العلاقات المصرية الأمريكية وتصدع الصف العربي. وبسبب كل هذه العوامل مجتمعة، يمكن القول أن حرب اليمن كانت أحد المنعطفات في الطريق الذي سارت فيه مصر والذي أدى في النهاية إلى تآمر أمريكا وتعاقدها مع إسرائيل لتقوم بإسقاط عبد الناصر ونظامه في حرب الأيام الستة. [٣]

([1]) محمد حسنين هيكل " سنوات الغليان " مرجع سابق ص ٦٤٨.
([2]) محمد حسنين هيكل " سنوات الغليان " مرجع سابق ص ٦٦٣.
([3]) أ.د. رءوف عباس حامد موسوعة " ناصر " . مرجع سابق .

قوات الطوارئ بين الأمن العربي والكرامة الشخصية

وكان النتيجة الطبيعية لسوء السياسة الناصرية الخارجية أن وقعت كارثة ٦٧ فقد كان وجود قوة الطوارئ الدولية على الحدود المصرية مثارًا لحملات شنتها صحف وإذاعات الدول العربية التي تتعارض سياستها وقتئذ مع سياسة مصر مثل السعودية والأردن ؛ لذلك تجلَّت رغبة القيادة السياسية والعسكرية قبل عام ١٩٦٧ في انسحاب قوات الطوارئ من الحدود الشرقية لاستعادة مصر لحقها المشروع في تفتيش مياهها الإقليمية ، والسيطرة والتحكم في مضيق تيران (مدخل خليج العقبة الجنوبي) إلى ميناء إيلات الإسرائيلي مرة أخرى منذ عام ١٩٥٦. [١]

وقرار سحب قوات الطوارئ الدولية الذي أقدم عليه عبد الناصر كرد فعل عاطفي على الحملات التي شنتها صحف وإذاعات بعض الدول العربية عليه فتح باب الجحيم على مصر والوطن العربي بأسره فقد كانت القوات الدولية تقف مانعاً ضد رغبة إسرائيل في التوسع على حساب البلاد العربية ، ولكن عبد الناصر ضحى بالمصلحة العربية ليحافظ على زعامته ضد الصحف العربية التي تشكك فيها.

يقول الفريق فوزي : " عندما يتعمق المؤرخون في تحليل موضوع إزالة قوات الطوارئ الدولية من الحدود المصرية ، وهو الهدف الوطني ، ومقارنته بالهدف الاستراتيجي للدول العربية في الفترة من ١٩٥٧ وحتى ١٩٦٧ ، وهو ردع إسرائيل لمنعها من الاستمرار في سياسة التوسع الاستعماري في الأراضي العربية المجاورة ، هنا يكون السؤال هل من المنطق والمعقول أن يتحقق الهدف الاستراتيجي فتبقى قوات الطوارئ الدولية لتكون حاجزا سياسيًّا على الحدود ضد سياسة التوسع الإسرائيلي ، أم يتغلب الهدف الوطني على الهدف القومي ويتم سحب قوات الطوارئ ؟

الغريب في هذا الشأن أن الدول العربية المحاربة والمواجهة لإسرائيل لم تقتنع بهذا التصور للواقع إلا في السبعينات ، أي ضرورة بقاء قوات الطوارئ ، ولكن بعد الشعور بالهزيمة .

([1]) مذكرات الفريق أول محمد فوزي " " حرب الثلاثة سنوات ١٩٦٧ / ١٩٧٠ " مرجع سابق ٧٢ ، ٧٣.

لذلك أتساءل بيني وبين نفسي باستمرار ، ماذا كان سيحدث عسكريًّا لو أن مصر لم تطلب سحب قوات الطوارئ الدولية على الإطلاق ؟ وأعتقد أن سحب هذه القوات لا يعود على مصر في ذلك الوقت بأي فائدة وإنما كان مجرد قرار عاطفي وإعلامي أكثر منه سياسيّاً وعسكريّاً بل كان رد فعل سحب قوة الطوارئ في شرم الشيخ وغزة مزعجاً للقوات المسلحة ، إذ كان هو السبب في بداية تغيير الخطط العسكرية المدروسة والمجهزة في سيناء .

وبسحب قوة الطوارئ الدولية أصبح الطريق مفتوحاً لإعادة التمركز في شرم الشيخ ، ولسيطرة مصر على المياه الإقليمية المشروعة والموجودة بها مضيق تيران ، الذي يعد المنفذ الوحيد جنوب خليج العقبة للملاحة الإسرائيلية ، وفي الوقت نفسه واجهت القوات المسلحة ، بل والدولة مشكلة الملاحة في خليج العقبة والمرور البريء في المضيق .

كان هذا الأمر يتطلب اتخاذ قرار سياسي على أعلى مستوى وفي اعتقادي أن هذا القرار كان أخطر القرارات التي اتخذت ، والتي أدت في النهاية إلى قيام الحرب". [١]

لم يكن قرار سحب القوات الدولية القرار الوحيد الذي يدل على تراجع جمال عبد الناصر عن قوميته العربية بل كان فقط هو بداية هذا التراجع ؛ فبعد هزيمة ٦٧ أصبح هَم عبد الناصر الأكبر وشاغله الرئيسي ليس القضايا العربية إنما كيفية استعادة الأرض المحتلة ، وهو الذي ضحى بالمصلحة الوطنية في بناء دولة عصرية حديثة غنية في سبيل الدعوة إلى القومية العربية التي استنزفت أموال الشعب المصري وجيشه واهتمامات نظامه وجلبت عليه عداوة الحكام العرب بل وعداوة الغرب كله. [٢]

بدأ عبد الناصر بعد هزيمة يونيو ٦٧ يتكلم عن الوطنية المصرية وعن الوحدة العربية عن طريق القوة الناعمة بعدما أثبت له العرب في مؤتمر الخرطوم أصالة

([1]) مذكرات الفريق أول محمد فوزي " حرب الثلاثة سنوات ١٩٦٧ / ١٩٧٠ " مرجع سابق ٧٦ ، ٧٧.

([2]) لمزيد من التفاصيل حول هزيمة ٦٧ راجع كتابنا " هزيمة يونيو ٦٧ وتحديد المسئولية " دار زهور المعرفة والبركة.

معدنهم فراحوا يمدون يد المعاونة لإزالة آثار العدوان ، ويقدمون له كل ما يحتاجه، وتناسوا كل البذاءات التي رماهم بها، وكل المؤامرات التي حاكها ضدهم.

ويسأل "كليفتون دانيال" مدير تحرير "نيويورك تايمز" عبد الناصر في لهجة لا تخلو من تشفي : " أتسمحون لي بأن أتوجه لكم الآن بسؤال؟ الوحدة العربية.. أعتقد إنني مصيب في القول بأن الجمهورية العربية المتحدة والأردن فقط، هما اللتان أقرتا قرار الأمم المتحدة لعام ١٩٦٧ فهل هذا صحيح ؟ إن الدول العربية الأخرى لم تؤيده؟

* الرئيس : ولبنان على ما أعتقد . " [١]

لقد حصد عبد الناصر ما زرع من سوء سياسته العربية ومحاولة جر الحكام العرب من أنوفهم للسير في ركابه ، والمزايدة على حقوق شعب فلسطين والادعاء بأنه حامي العرب وزعيمهم فلما تتكر لما كان يدعو إليه تمسك به الآخرون ، وكانت الفرقة أولاً وآخراً .

وفي إجابة عبد الناصر عن سؤال: هل هناك ازدياد في الشعور بالوطنية المصرية؟ يقول : " قبل سنة ١٩٦٧ كان الشعور الأكثر ظهوراً هو الشعور بالقومية العربية، وبعد سنة ١٩٦٧ ظهر أيضاً الشعور بالوطنية المصرية إلى جانب الشعور بالقومية العربية، وأظنك تعرف أنهم عرضوا علينا صيغاً تنص على الانسحاب من سيناء وحدها، ولم يوافق أحد على ذلك؛ وهذا هو الشعور بالقومية العربية، والحقيقة أنه ليس هناك تناقض بين الشعور بالقومية المصرية والقومية العربية " [٢] .

قصة الوحدة مع سوريا

الوحدة الاندماجية الوحيدة التي استطاع عبد الناصر تحقيقها كانت مع الشقيقة سوريا ولم تدم أكثر من ثلاث سنوات أضاع فيها عبد الناصر ثروات مصر الطائلة

([1]) من حديث الرئيس جمال عبد الناصر إلى "كليفتون دانيال" مدير تحرير "نيويورك تايمز" بتاريخ ١٩٦٩/٤/٢٢.

([2]) من حديث للرئيس جمال عبد الناصر مع "جيمس رستون" رئيس تحرير "نيويورك تايمز" من منزل الرئيس بالقاهرة بتاريخ ١٩٧٠/٢/١٤.

وجلب عداوة الأشقاء العرب ، ومحا من أجلها اسم مصر حيث صار اسمها الجمهورية العربية المتحدة .

عبد الناصر يمحو اسم مصر

لقد محا عبد الناصر اسم مصر الذي شرفه الله تعالى وذكره في القرآن الكريم في مواضع خمسة تصريحاً غير مواضع أخرى جاء ذكرها تلميحاً .

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٨٧]

يقول تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾ [يوسف : ٢١]

وقال تعالى : ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ﴾ [يوسف :٩٩]

وقال تعالى : ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف :٥١]

وقال تعالى : ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة : ٦١] .

والعجيب أن يُصرَّ عبد الناصر على محو اسم مصر حتى بعد فشل الوحدة مع سوريا ، فهكذا كان عبد الناصر لا يريد أن يعترف بفشله ، إنما يكابر ويخدع البسطاء من شعبه بأن الوحدة العربية آتية آتية ، ولم تأت الوحدة العربية التي منَّى الناس بها ، بل إنه لم يحافظ على وحدة وادي النيل فبسبب سوء سياسته انفصلت السودان عن مصر لأول مرة في العصر الحديث .

يقول نجيب محفوظ مخاطباً عبد الناصر على لسان الملك خوفو في روايته "أمام العرش" التي حاور فيها رجال مصر من مينا إلى أنور السادات : " اهتمامك بالوحدة

العربية فاق اهتمامك بالوحدة المصرية فحتى اسم مصر الخالد شطبته بجرة قلم ، واضطررت العديد من أبناء مصر إلى الهجرة التي لم يمارسوها إلا في فترات قهر عابرة . " [١]

يقول أحمد طعيمة عن الوحدة مع سوريا : " في ظل الاتحاد القومي استدعانا الرئيس جمال عبد الناصر وأخطرنا بأنه سيقيم وحدة مع سوريا وأنه اقتنع بها بعد زيارة قام بها شكري القوتلي إليه وبعد أن ضغط عليه قادة الجيش السوري معبرين عن مخاوفهم إذا لم تتم الوحدة مع مصر فإن سوريا ستقع في الخطر التركي والإسرائيلي اللذين يتربصان بسوريا .

فكان ردي – والله شهيد – لا أستطيع أن أهنئك يا سيدي الرئيس فهي وحدة غير طبيعية الآن ؛ فلا تربطنا أرض ولا سماء بسوريا ، وأخشى أن تكون هذه الوحدة مدسوسة علينا ، وأنها مؤقتة للقضاء على فكرة الوحدة العربية والقومية وإني سأكون سعيداً وأهنئ الرئيس من كل قلبي لو كانت الوحدة مع السودان الشقيق في النيل والتاريخ .

وأقيمت الوحدة ليبدأ الصراع بين القوى المختلفة ، ولم ينظر إلى الإقليم السوري على أنه مختلف تماماً عن الإقليم المصري في كثير من مكوناته ، وهو كان له أكبر الأثر فيما وقع من فشل بإدارة شئون سوريا في موضوعات خطيرة وحساسة. [٢]

أسباب فشل الوحدة مع سوريا

لقد ارتكب النظام الناصري كثير من الأخطاء ساهمت في رفض السوريين للوحدة التي سعوا هم إليها ، فمن هذه الأسباب جعل مادة الدين مادة اختيارية وقد كانت حتى في ظل الاحتلال الفرنسي مادة إجبارية ، وتطبيق القرارات الاشتراكية التي لا تناسب طبيعة المجتمع السوري الذي يعمل سائر أفراده في التجارة ، وسوء إدارة عبد الحكيم عامر ورجاله الأمور في سوريا .

([1]) نجيب محفوظ " أمام العرش " مكتبة مصر ص ١٩٤ .
([2]) أحمد طعيمة " شاهد حق " مرجع سابق ص ١١٧ .

ومن أمثلة ذلك الفشل يقول أحمد طعيمة : " وفد إلى مصر وفد سوري برئاسة الشيخ على طنطاوي ، كان سبب حضوره شديد الغرابة ؛ فسوريا تحت الاحتلال الفرنسي كانت تدرس فيها مادة الدين كمادة إجبارية في التعليم ، فلما تمت الوحدة وبدلاً من أن نأخذ عنهم ونجعل مادة الدين مادة نجاح ورسوب إذا بنا نستبعد مادة الدين الإسلامي من التعليم السوري ، ونجعلها مادة اختيارية .

جاء الوفد السوري إلى مصر ظل لخمسة عشر يوماً في انتظار مقابلة السيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم المركزي في ذلك الوقت دون جدوى .

فلما أخطرني الشيخ سيد سابق بهذا الموضوع اتصلت بالأخ أحمد نجيب هاشم الوزير التنفيذي لوزارة التربية والتعليم ، وتم لقاء الوفد به والذي عاد إلى سوريا دون أن ينجح مسعاه ، وبعد أيام قليلة تم الانفصال وبدأ الشيخ طنطاوي رئيس الوفد مهاجمة مصر هجوما شرساً في كل الإذاعات .

أخبرني المشير أنه كُلِّف من الرئيس جمال عبد الناصر بمقابلة الوزراء وإخبارهم بأنه ستعلن قرارات اشتراكية تشمل الكثير من الأمور الاقتصادية فسألت المشير هل هذه القرارات على مصر وسوريا في نفس الوقت فقال نعم ، فقلت له التنفيذ في مصر ممكن لأنه يمس قلة من المصريين ، وكثير من المتمصرين ، أما في سوريا فقد تؤدي هذه القرارات إلى الانفصال لأنها ستمس الجميع وسيتأثر بها كل سوري، لأن السوري بطبيعته تاجر حتى أستاذ الجامعة يكون له عمله التجاري في غير أوقات العمل الرسمية .

ولقد أوضحت للمشير أن هذه القرارات لن تمر بيسر في سوريا خاصة وأن سوريا كانت إمارات متعددة وعهدهم بالدولة حديث ، كما أنهم يعتمدون على الأمطار في الزراعة فليس لهم ولاء للحكومة المركزية مثل مصر حيث يعتمد المصريون فيها على ماء النيل الذي تتحكم فيه الدولة بالتوزيع ، فالولاء أصلاً للحكومة المركزية في سوريا غير موجود ، والسوري يعتبر الوزير يعمل عنده وليس العكس ، ولذلك أتوقع الرفض السوري لهذه القرارات .

فقال المشير من يرفع رأسه تقطع ، فقلت له ومن الذي يقطعها فقال القوات المسلحة، فقلت له على حد علمي وإلى أن تركت القوات المسلحة عام ١٩٥٢ فإن القوات المسلحة لم تكن اشتراكية لتدافع عن القرارات ، وإذا كان المشير متأكداً أن القوات المسلحة أصبحت تؤمن بالاشتراكية فعلى بركة الله ، وصدرت القرارات الاشتراكية ، وكانت السبب المباشر لعملية الانفصال مؤيدة بالقوات المسلحة السورية.

ولقد كان من نتائج انفصال سوريا الخطيرة أنه لما سلَّم الضابط سعد زغلول الضبع إلى السلطات السورية أسماء الوحدويين ، أغلقت سوريا حدودها وألقت القبض عليهم جميعاً ؛ مما أفقد جمال عبد الناصر الأمل في إعادة الوحدة مما دفعه إلى حرب اليمن للتغطية على الفشل في سوريا ومحاولة إحياء القومية والوحدة العربية.

ولقد ساعدت الشركة الخماسية في سوريا في عملية الانفصال حيث كانت سنداً قويّاً لمن قاموا بعملية الانفصال ، إذ سخرت تلك الشركة قوتها الاقتصادية في دعم الانفصاليين بسوريا ، مما كان له أثره الخطير داخليّاً في مصر حيث وضعت الحراسات على كل من يملكون أية قوة اقتصادية زراعية كانت أم تجارية ، وذلك حذراً من أن تستغل الناحية الاقتصادية في أحداث ما حدث في وسوريا من انقلاب وهنا بدأ في مصر عهد للظلم الصراخ ، عهد الكرامة الذبيحة ، وتاريخ الأذى والطغيان والمأساة .

وقد طعن انفصال سوريا جمال عبد الناصر في مقتل فهو أول كارثة تحل بزعامته ومكانته العالمية كما كان لانفصال سوريا أثر عميق في العلاقة بين جمال عبد الناصر والمشير عامر الذي اعتبره المسئول الأول عن الانفصال وأصبحت هزيمة ١٩٥٦ وانفصال سوريا تمثلان مع نتائج ١٩٦٧ كنكبة عسكرية حقيقية جذور العداء الذي حلَّ بين المشير والرئيس عبد الناصر . [١]

يقول د. عبد الرحمن بدوي : " إن وزارة الخارجية المصرية بعثت إلى السفارات في الخارج في أوائل فبراير ١٩٥٨ تسألها رأيها في هذه الوحدة قبل إعلانها . وسألني

([1]) أحمد طعيمة " شاهد حق " مرجع سابق ص ١١٨ ، ١٢٠.

السفير رأيي فقلت له : سجِّل رأيي كتابة ، وأمليت عليه إنني لا انصح بقيام هذه الوحدة للأسباب الآتية :

أولاً : إن طلب الوحدة لم يصدر عن الشعب السوري بل عن العسكريين السوريين ومن يلوذ بهم من أحزاب صغيرة لا قيمة لها على الصعيد الشعبي ، هي حزب البعث برئاسة ميشيل عفلق وصلاح بيطار ، وحزب أكرم الحوراني الذي يستند إلى الجيش ولا وجود له خارج حماة .

وكان العسكريون وعلى رأسهم عبد الحميد السرَّاج ومن ورائهم ذلك الحزبان الصغيران التابعان قد صاروا في مأزق سياسي لم يجدوا مخلصاً منه إلا الاتحاد مع مصر . ورداً لضغط العراق والأردن على سوريا وتضييقهم الخناق عليها إثر مشروع أيزنهاور وحلف بغداد . فهؤلاء العسكريون والسياسيون السوريون لم يريدوا الوحدة مع مصر اقتناعاً بفكرة الوحدة ، ولا حباً في مصر ، بل لإنقاذ أنفسهم .

ووحدة تقوم لهذه الدوافع لا يمكن أبداً أن تستمر طويلاً ، بل مآلها العاجل إلى الإخفاق الذريع .

ثانياً : – إن معرفتي بالسوريين عامة ، والداعين إلى هذه الوحدة بخاصة – وكنت أعرف منهم جيداً رجال حزب البعث تجعلني لا أحبذ التعامل السياسي معهم ؛ فهم طامعون في بسط نفوذهم الدائم على سوريا ، وطامعون في استغلال مصر اقتصاديّاً وعسكريّاً إلى أقصى درجة .

وقد ظهر مطامعهم هذه جليَّة منذ اللحظة الأولى : فضلاً عن تدفق التجار السوريون ببضائعهم المزجاة لبيعها في مصر وعقد الصفقات المشبوهة ، فقد حاول السياسيون السوريون ابتزاز أموال مصر ومرافقها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

وبلغت الوقاحة ببعض الوزراء السوريين أن طلبوا من جمال عبد الناصر أن يهدي إلى سورية أحد الخطين الحديديين القائمين بين مصر والإسكندرية وقالوا : " سيادة

الرئيس ! سافرنا بالأمس بالقطار إلى الإسكندرية ، وقد لاحظنا أن الخط الحديدي مزدوج ، وسوريا في حاجة شديدة إلى خط حديدي ، فهلاَّ تتفضل مصر فتتنازل لها عن أحد شقي هذا الخط المزدوج ؟ ! " إي والله قد قالوا له هذا بكل وقاحة ، وكأن خطط السكك الحديدية في مصر ملك لعبد الناصر .

ذلك كان رأيي في والحدة بين مصر وسوريا ، سجَّلته صراحة وإملاءً على السفير المصري في برن . ولست أدري هل أبلغه إلى وزارة الخارجية في القاهرة . وطبعاً لم أخذ برأيي القائمون بالأمر في مصر .

ويستفيق عبد الناصر من وهمه الهائل في صباح يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١. " [١]

ويسأل أحمد منصور مذيع الجزيرة حسين الشافعي : " كيف تم استدراج مصر إلى قضية الوحدة مع سوريا ؟

حسين الشافعي : هم استغلوا سمعة مصر بعد الجلاء كي تتم عملية الوحدة، الذين قاموا بالوحدة كانوا متفقين في نفس الوقت على الانفصال .. فمصر تلقت طعنة بضربة بدون مناسبة ، أخرجوها من خندقها ، وصوبوا إليها إصابة دفعت ثمنها من صحة جمال عبد الناصر ، ومن اعتبار الثورة ، لأن هذه أول طعنة تطعن فيها الثورة هي الانفصال. [٢]

هذا عن الوحدة الوحيدة التي أقامها عبد الناصر ، ومن يسمع كلام الناصريين عن القومية العربية يعتقد أن عبد الناصر ، لأول مرة في التاريخ العربي ، استطاع أن يوحِّد العرب تحت راية واحدة وأن يجمع شملهم بعد طول تشتت وافتراق ، وأن العروبة ماتت بموته !!

والحقيقة غير ذلك تماماً فليس هناك فترة من الفترات كان العرب فيها أكثر خلافاً وتمزقاً من فترة القومية العربية المزعومة التي حاول عبد الناصر إقامتها .

---

(1) د. عبد الرحمن بدوي " سيرة حياتي " ج ١ مرجع سابق ص ٢٥٠ ، ٢٥١ .

([2]) حسين الشافعي برنامج " شاهد على العصر " الجزيرة نت بتاريخ ١٩٩٩/١١/٦.

obeikandl.com

سوريا تخون مصر في حرب ٦٧

حتى اتفاقية الدفاع المشترك مع سوريا التي كان من المفترض أنها تعويض عن الخسائر الفادحة التي خسرها عبد الناصر في الوحدة قد تخلى عنها حزب البعث أثناء حرب ٦٧ ، التي كانت سوريا سبباً في إشعالها بادعاء السوفييت بوجود حشود إسرائيلية على الحدود السورية ، مما اضطر عبد الناصر إلى حشد قواته في سيناء لتخفيف الضغط عن سوريا ، ومع ذلك عندما نشبت المعركة ترك حزب البعث السوري مصر تلقى الهزيمة ، ولم يحارب معها إلا جيش الأردن الذي كان عبد الناصر قد وصف ملكه بالفاسق ، والفاجر ، وعميل الاحتلال ، والخائن في خطب علنية شاهدها العالم أجمع !!

يقول المشير عبد الحكيم عامر في وصيته : " خاضت جيوش الجمهورية العربية المتحدة والأردن الحرب في حين ظل الجيش السوري بالقرب من دمشق لحماية نظام حزب البعث ولو كان الجيش السوري شن هجوماً كاملاً في المنطقة الشمالية من إسرائيل أثناء الأيام الأولي من الحرب لأجبر إسرائيل علي سحب عدد كبير من قواتها من سيناء والأردن ولكان غير على الأقل خطوط وقف إطلاق النار لصالحنا." [١]

وإذا كانت سوريا أحد الأسباب المباشرة في شن إسرائيل الحرب على مصر فإنها أيضاً كانت أحد الأسباب المباشرة في إيقاع الهزيمة بمصر .

ويقول الفريق فوزي عن موقف سوريا من هجوم إسرائيل على الطيران المصري: " في الساعة ٨.٤٥ بدا الطيران الإسرائيلي قصف محطات الرادار والطائرات وأجهزة الدفاع الجوي في سيناء " ٤ مطارات " وفي منطقة القناة " ٣ مطارات " كذلك مطار المنصورة ... وفي حوالي الساعة ١١ صباحاً كلفني المشير بالاتصال بالقيادة السورية لإخبارها بالموقف ومحاولة تنفيذ خطط القصف الجوي على مطارات إسرائيل

([1]) من وصية المشير عبد الحكيم التي ترجمتها جريدة " الجمهورية " عن مجلة " لايف " الأمريكية ونشرتها يوم ٢٦ / ١١/ ٢٠٠٩ .

الشمالية ، وهي جزء من الخطط التي كنت قد نسقتها مع رئيس أركان الجيش السوري اللواء " أحمد سويدان " . اتصلت به لا سلكيّاً طلبت منه تنفيذ التعرضية " رشيد " لكنني لم أحصل على رد إيجابي وكان كل ما نطق به هو جملة واحدة " نحاول سيدي " ثم علمت بعد ذلك إنه لم تصدر أية أوامر من الجانب السوري باتخاذ أي موقف مضاد أو تعرضي ، أو حتى تدخل في أي عمليات إطلاقاً ضد إسرائيل .

كما كان الفريق عبد المنعم رياض في عمان قد طلب من القيادة السورية نفس طلبي قبل ساعة أو أكثر إلا أن تصرف القيادة السورية كان سلبيّاً أيضاً. [١]

يقول هيكل : " بالتهديد الذي نواجهه مع إسرائيل، يبقى على طول أهم قاعدة للعمل بالطيران تبقى سوريا ومش مصر، لأنه في سوريا أي طيران موجود أو قواعد جوية موجودة في سوريا تستطيع أن تكون فوق أي هدف في إسرائيل في شمال إسرائيل خصوصاً حيث الكثافة الحقيقية للقوى الإسرائيلية الصناعية أو التجارية إلى آخره يعني، أو العسكرية، الحشد العسكري والمطارات والقواعد، تستطيع من سوريا أي قوات جوية أن تصل وأن تكون فوق أهدافها في إسرائيل بعد دقائق وفي هذه الفترة القصيرة تمكن القوات من أن تكون موجودة وقادرة على الفعل فوق أهدافها مدة زمنية أطول، بمعنى أي قوات طالعة من سوريا جوية تبقى في إسرائيل عندها مجال للعمل فوق أهدافها يصل إلى ثلث الساعة لكن إذا وصلت قوات جوية من مصر فبالكاد تكاد تصل ولكي تعود آمنة يبقى قدامها فوق أهدافها مسافة لا تزيد عن ثلاثة إلى أربع دقائق، فباستمرار هي المكان الأصلح للعمل الجوي في مواجهة تهديد إسرائيل . " [٢]

فرغم وجود اتفاقية دفاع مشترك ورغم أن مهاجمة سوريا لمطارات إسرائيل سوف تقضي على الطيران الإسرائيلي الذي لن يجد مطاراً ينزل فيه إلا أن الطيران السوري لم يقم بقصف مطارات إسرائيل بتعليمات من حزب البعث !!

([1]) مذكرات الفريق أول محمد فوزي " " حرب الثلاثة سنوات ١٩٦٧ / ١٩٧٠ " مرجع سابق ١٤٤ .
([2]) محمد حسنين هيكل برنامج " مع هيكل " الجزيرة نت ١٤ / ٥/ ٢٠٠٩ .

هذه نتيجة القومية العربية التي حملت لواءها سورية طوال القرن العشرين ، وتبناها عبد الناصر ، وضحى بمصر من أجلها على حد قول المشير عامر في وصيته. وَحْدَة كلامية وشعارات عنترية وأسد عليَّ وفي الحروب نعامة .

يصف نيكسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية عبد الناصر فيقول : " إنه سريع الغضب والاشتعال ، نافد الصبر، ديكتاتور ، تمتلكه المصالح الحمقاء التي سارت به إلى الأبد في طريق المزيد من حاجات شعبه الدنيوية قليلة الشأن . "

وعن الوحدة العربية يقول نيكسون : " لقد سعى ناصر دائماً لتحقيق الوحدة العربية ليكون على رأسها ، وهو يرى أن القومية العربية تعني ولاءً له وعداءً للغرب . "

وقال أيضاً : " تدخل عبد الناصر بشكل مكروه في شئون بلدان عربية أخرى بالإعداد للانقلابات وحياكة المؤامرات وأعمال الاغتيال ، وأولع نيران الثورات وغاص عميقاً في الحرب الأهلية في اليمن . " [1]

نأتي بعد ذلك إلى المبادئ الثلاثة الأخرى من مبادئ الثورة وهي : القضاء على الإقطاع ، والاحتكار وسيطرة رأس المال ، وإقامة حياة اجتماعية عادلة .

فشل مؤتمر القمة العربية بالرباط

كان نتيجة الحرب العربية الباردة أن مؤتمرات القمة العربية كانت مؤتمرات لنكأ الجراح وليس لتضميدها حتى بعد كارثة ٦٧ ، وكان المفترض أن يتوحد العرب لاسترداد الأرض والكرامة العربية ، ولكننا نجد أن القادة العرب ظلوا على مواقفهم بل ازدادت العداوة بينهم ، ونكتفي بذكر أهم نتائج آخر قمتين عربيتين شهدهما عبد الناصر قبل وفاته حتى نرى هل استطاع عبد الناصر تحقيق قوميته العربية أم لا ؟

مؤتمر القمة العربية قبل الأخير عُقِد في الرباط في ديسمبر سنة ١٩٦٩ بقصد حشد القوى العربية ضد العدو الصهيوني الذي استولى على الأراضي العربية في ٦٧ .

([1]) لمزيد من آراء الغرب في جمال عبد الناصر وسياسته راجع سامي شرف "سنوات وأيام مع عبد الناصر" .

يقول هيكل عن هذا المؤتمر : " لا أعلم أن فيه رئيس دولة في اللي حضروا كلهم كتب محضراً بخط يده بكل وقائع الجلسات إلا جمال عبد الناصر، كتب والجلسة دائرة محضراً عدد صفحاته تصل إلى الأربعين صفحة، وسجَّل فيها المشهد الأخير الختامي لجلسة رؤساء الوفود : ألاقي القذافي يقول في الجلسة السرية، اللي باين أن نلف حول أنفسنا ما حنطلع بنتيجة سواء جلسة أو اثنين هذا واقع الأمة العربية .. ما فيش فايدة من القمة العربية، مواقف الدول العربية تتخذ بصورة بدائية .. ما في فايدة غير نروَّح كل واحد ينشر موقفه، نواجه الجماهير العربية، القنابل لن تكون إلا على الحكام، اللي يقتل الشعب العربي هم الحكام، الأرض العربية هي التي تُحْتَل، الحكام لن يجيئهم إلا الإثراء، أنا أول من يواجه الجماهير بالحقيقة حأتكلم مع الصحفيين عن هذا الاجتماع في العلن لأن لا بد أن الشعب يعرف الحقيقة، خلينا نروَّح أحسن والله، مش ممكن تقدم، نحن العرب نقاتل بعضنا، دول عايزة دول المواجهة تسقط، بالك ليبيا عايزة تسقط مصر؟ ليبيا تجيب خبراء إسرائيليين ؟ آسف لحضور المؤتمر، الشيء الوحيد الذي استفدته تعرفت على بعض الإخوة .. خلُّوا الشعب العربي يعرف الحقيقة ، "اسمحوا لنا حين تمشوا أن ضميركم يوجعكم"، وبعدين "فلسطين مسكينة" .

المندوب العراقي بيسأل الرئيس العراقي بيسأل بتقترحوا إيه؟ طيب نرجع لموضوع الحشد ثاني نتكلم فيه فيقاطعه معمر القذافي "ماكو حشد"، بيذكره بالكلمة القديمة اللي كانت موجودة في حرب فلسطين أنه "ماكو أوامر".

ألاقي الموقف في الآخر الدول العربية في الآخر ماشية وبعدين الملك الحسن يقول طيب خلونا نحاول ننظم المناقشة، نسأل كل دولة عربية مستعدة تعمل إيه، رؤساء دول عربية لم يجيبوا لأنه بقى واضحاً أنه إحنا داخلين على مرحلة أخرى في الصراع وأنه ما حدش عاوز يربط نفسه أو في كثير مش عاوزين يربطوا نفسهم، مثلا ألاقي السعودية تقول ما أقدرش أكثر من اللي عملناه، الكويت سكوت، الأردن نحن نقول ما يقول العسكريون، العراق سوف.. نعم ياسر عرفات، بعدين ملك المغرب يخش يقول

إيه ؟ بهذه الطريقة "القذافي وضعنا في مأزق"، السودان بيقول الرئيس السوداني بيقول معنى ذلك أن لا بيان، الملك الحسن بيقول خلونا نعمل جلسة ختامية نتفق على مشروع بيان بس يغطي الموقف، فالقذافي يقول له "هذه هي الختامية". لكن بقى واضحاً أن المؤتمر انتهى والنتيجة أنا أعتقد أنها كانت لحظة من أتعس اللحظات في تاريخ العمل العربي المشترك كله والمشكلة أو الخطير جداً أنها جاءت في وقت المعركة. [1]

أيلول الأسود والحرب العربية / العربية

القمة العربية الأخيرة التي شهدها عبد الناصر ومات على إثرها فكانت في القاهرة في شهر سبتمبر ١٩٧٠ .

أما سبب دعوة عبد الناصر الملوك والرؤساء إلى هذه القمة فكان لإنقاذ المقاومة الفلسطينية الموجودة في الأردن من إبادة الملك حسين لها ففي يوم ١٧ سبتمبر ١٩٧٠ أصدر الملك حسين الأوامر لقواته المسلحة بالهجوم على معسكرات الفلسطينيين ومراكز تدريبهم وقواعد المقاومة ومخابئها ، وتحركت قوات الأردنية تدمر كل شيء وتقتل كل فلسطيني .

وتحركت القوات السورية إلى بلدة (الرمثا) على الحدود الأردنية لإنقاذ المقاومة الفلسطينية ، وأبلغت الولايات المتحدة الأمريكية سوريا عن طريق حليفها الاتحاد السوفيتي أنها لن تسمح بدخول القوات السورية إلى الأردن ، وأنها سوف تحمي نظام الملك حسين .

ظل الموقف يتدهور بطريقة مفجعة ، وساد الظلام في الأردن ، وتحول شهر سبتمبر إلى شهر كئيب حزين أسود ، وقد سُمي في التاريخ بأيلول الأسود فقد تجاوز عدد الذين سقطوا قتلى برصاص السلطة الأردنية عدد الفدائيين الذين استشهدوا في

([1]) محمد حسنين هيكل برنامج " مع هيكل " حلقة أذيعت بتاريخ ٢٠/٥/ ٢٠١٠ الجزيرة نت .

obeikandl.com

عملياتهم داخل إسرائيل والأرض المحتلة ، وفي كافة المعارك ! إذ بلغ عدد القتلى حوالي ثلاثة آلاف شخص وإصابة أكثر من ١١ ألف شخص !!!

وصل رئيس سوريا نور الدين الأتاسي إلى القاهرة في يوم ٢١ سبتمبر وهو يحمل معه الرغبة في دخول الأردن ، ولكن عبد الناصر حذره من الموقف الأمريكي، ومن الخطوات غير المحسوبة .

ويضطر عبد الناصر للدعوة إلى مؤتمر قمة عربية في القاهرة لحل هذه الكارثة التي تجلل رؤساء العرب بالعار ، المقاومة الفلسطينية الفصيل الوحيد الذي يوجه ضربات موجعة لإسرائيل بعدما دمرت الجيوش العربية وشلت حركتها تذبح علنا برصاص العرب ، وكل القيادات عاجزة عن حمايتها !!!

واستجاب الملك حسين لرغبة عبد الناصر وحضر المؤتمر يوم ٢٥ سبتمبر ودخل القاعة يحمل مسدسه وكذلك ياسر عرفات الذي استطاع الوفد المفوض من مؤتمر القمة بتهريبه من الأردن ، وأراد الملك فيصل ترطيب الجو فقال يجدر بنا أولا نزع سلاح المتحاربين .

وتوصل المؤتمر يوم ٢٧ سبتمبر إلى اتفاق وقَّعه الملك حسين وياسر عرفات ويقضي بالآتي :

أولا : الوقف الفوري لإطلاق النار .

ثانيا: انسحاب الجيش الأردني والفدائيين من كافة المدن قبل مغرب نفس اليوم.

ومن ذلك التاريخ أصبح واضحاً أن الأردن لم تعد أرضاً صالحة للفدائيين ، ولم تعد نقطة الانطلاق إلى داخل الأرض المحتلة .

ولاشك أن عدم تنسيق الإستراتيجية العربية بين كافة الأنظمة ، والقوى السياسية، وعجز المقاومة الفلسطينية عن توحيد فصائلها بما يجعل لها سياسة واحدة كان من الأسباب الرئيسية التي أتاحت للنظام الأردني أن ينجح ، ولعل ما قاله معمر القذافي

أثناء المؤتمر من أن الملك حسين مجنون يقتل شعبه ، وأن على المجتمعين أن يرسلوا من يقبض عليه ويدخله المستشفى فرد عليه الملك فيصل – فيما يرويه هيكل في كتابه الطريق إلى رمضان – ربما كنا جميعا مجانين ، وهنا يتدخل عبد الناصر في الحوار قائلاً : " أحياناً عندما نرى ما يحدث في العالم العربي فإني أعتقد أن ذلك قد يكون صحيحاً يا صاحب الجلالة ، ولذا فإني أقترح أن ننتدب طبيباً للكشف علينا دورياً ، ومعرفة المجنون فينا " !!!

ولعل هذا الحوار الذي خرج عن حده المعتاد بين الرؤساء والملوك يعطي إحساسا بمدى سخونة الموقف داخل قاعة الاجتماع . [١]

نعود إلى القوات السورية المتوجهة لغزو الأردن ماذا تم بشأنها ؟ ومن الذي أوقف زحفها ؟

أتدرون من الذي أوقف غزو سوريا للأردن ؟ إنها إسرائيل !!

والتاريخ العربي المخزي يقول أن أمريكا طلبت من إسرائيل أن ترسل طيرانها لمواجهة القوات السورية ، وبمجرد تحليق الطيران الإسرائيلي فوق القوات السورية استدارت القوات للخلف وعادت من حيث أتت وهكذا أوقفت إسرائيل حرباً مؤكدة بين سورية والأردن !! [٢]

هذا هو حال الأمة العربية عندما تركها عبد الناصر ورحل .

محمد نجيب والوحدة العربية

عرفنا ما آلت إليه الوحدة العربية على يد عبد الناصر فهل ما فعله عبد الناصر كان من أهداف ثورة يوليو التي استمد عبد الناصر منها شرعية حكمه ؟ وهل سياسته نحو العرب كانت امتداداً لسياسة محمد نجيب عندما كان رئيساً للجمهورية قبل أن ينقلب عليه عبد الناصر ويستولي على الحكم منه ؟

([1])لمزيد من التفاصيل حول أحداث " أيلول الأسود " راجع أحمد حمروش " ثورة يوليو " الجزء الثاني الباب الخامس الفصل الثاني خريف عبد الناصر .

([2])عمرو الليثي " أورشليم ، شهادة قادة الصراع العربي الإسرائيلي " ص ٢٠٤ .

obeikandl.com

يقول نجيب : " أراد عبد الناصر أن يكون زعيماً مهما كان الثمن فبعد أن أضاع فرصة الوحدة مع مصر والسودان جرى إلى وحدة فاشلة بين مصر وسوريا . وبعد أن أعطى لبريطانيا شروطاً أفضل للبقاء في قاعدة قناة السويس ، سارع بتغطية الموقف بالمزايدة بقضية فلسطين ، حتى انتهى بنا الأمر باحتلال سيناء في يونيو ١٩٦٧ .

وكان خطأ العرب جميعاً وخطأ الفلسطينيين هو أنهم لم يؤمنوا ولم يعترفوا بالأمر الواقع ، إلا بعد أن يفرض عليهم واقعاً آخر أشد وأصعب .

فقد رفضوا مشروع التقسيم ، لكنهم عادوا وعملوا به بعد هزيمة ١٩٦٧ ، ورفضوا عودة أراضيهم مقابل الاعتراف بإسرائيل وعادوا وعملوا بهذا بعد أن رفضت إسرائيل ، وهكذا من خطأ إلى آخر حتى وصل الأمر بأن أصبح الفلسطينيون يقاتل بعضهم البعض بدلاً من أن يقاتلوا الإسرائيليين .

وكما دبت الفرقة بين أبناء الهدف الواحد دبت أيضاً بين الدول العربية المختلفة ، كان لنا دوراً كبيراً في ذلك فقد فرقنا ، رغم شعارات الوحدة التي رفعناها في نهاية الخمسينات والستينات بين العرب ، ووصفنا بعضهم بالثورية ، ووصمنا بعضهم بالرجعية ، ولم نحاول أن نزيل ما في صدروهم من أحاسيس ضد الثورة وضد مصر ، بل سعينا إلى زيادتها ، وهذا كان مفاجأة لي . فلم يكن هذا ما اتفقنا عليه في سنوات الثورة الأولى ، كان اتفاقنا أن نقرب العرب إلينا لا أن نبعدهم ، وأن نوحدهم لا أن نفرقهم ، وأن نساعدهم لا أن نحاربهم ، وأذكر أنني ساعة أن أديت فريضة الحج عام ١٩٥٣ لك يستقبلني الملك عبد العزيز آل سعود وادعى أنه مريض ، كنت أعلم أن في صدره بعض الآلام من بعض الكلام الذي قيل ضده من بعض رجال الثورة ، وهمس في أذني البعض ألا أذهب إلى زيارة الملك في الطائف ، وأن أعود بعد الحج مباشرة إلى القاهرة ، لكني رفضت السماع لهذه النصيحة وقررت أن أذهب بنفسي إلى الملك ، وقلت للملك عبد العزيز " أعرف أن صلتك قوية بالملك فاروق لكننا قمنا بثورة الجيش لنزيل الفساد من مصر وليس من أهدافي تصدير الثورة إليكم كما قيل أو إلى أي بلد عربي آخر .

إننا نحترم كل نظم الحكم العربية ، وندرك أن لكل بلد طبيعته الاقتصادية ، والاجتماعية الخاصة به ، ونؤمن أن ما ينفع لبلد لا ينفع بلد آخر .

إننا في مصر نقدر ذلك العمل الذي قمتم به من أجل توحيد الجزيرة العربية، ونحن نعرف أنك ستكون معنا إذا سعينا إلى تحقيق وحدة السياسة الخارجية بين العرب ووحدة مناهج التعليم وأن يكون للعرب جيش –موحد ، مع بقاء جيش عربي في الوقت لكل بلد عربي ، إن الوحدة ليست اندماجاً وليست سلطاناً يفرضه القوي على الضعيف، وإنما هو عمل فيه مصلحة الجميع .

وكنت مؤمناً بهذا الأسلوب فعلاً ، أسلوب تقريب العرب ودمجهم في مصلحة واحدة، ولكي تتحقق الوحدة الكاملة لا بد من أن نمشي خطوات قصيرة تتبعها خطوات أكبر ، وهكذا كأن نبدأ مثلاً بإلغاء تأشيرة الدخول بين البلاد العربية ، ثم نرفع القيود الجمركية، ثم نوحد مناهج التعليم ، ثم نقيم مشروعات مشتركة ، ثم ، ثم ، إلى أن نصل إلى الوحدة الكاملة ولو بعد عشرات السينين .

وعندما قلت ما عندي ، قام ليضع يده في يدي ، ثم قال : إن مصر والسعودية حليفتان وصديقتان ولن ينفصل جسر الارتباط بينهما ، وفتح الملك قلبه وقال لي : لقد حذروني منك ونصحوني بالحيطة منك خاصة عندما علمت أنك ذاهب إلينا للحج . وخرجنا أصدقاء ، وأهداني سيفاً ذهبيّاً أهديته للمتحف الحربي.

وحدث موقف معاكس عندما جاء نوري السعيد إلى مصر كان معه مشروعاً لاتحاد البلاد العربية المتقاربة ، السودان ومصر وليبيا مثلاً ، والعراق وسوريا والأردن مثلاً ، وتونس والجزائر والمغرب مثلاً ، والسعودية والخليج واليمن أخيراً .

لكني لم أوافق على المشروع ، واعتبرته خرافة ، فقلت له : لا أريد أن أقفز فوق الحواجز لأسعى للوحدة قبل أن يتم الجلاء الإنجليزي عن مصر ، لكنه لم يقتنع وأسهب في إبراز مزايا المشروع اقتصاديّاً.

فقلت له : إنني لا أريد جامعة عربية أخرى يباركها الإنجليز وهم مازالوا يحتلون الدول التي تسعى أنت لربطها بمصر .

وقلت له : إن الوحدة لا تفرض بالقوة وإنما تأتي بالواقع والمصلحة ، عن علينا أن نوحد أفكارنا ، ونحد مصالحنا ، ثم نوحد بلادنا .

لكن ما رفضته وأنا أحكم مصر ، قبلوه من جاءوا بعدي .

وكانت النتيجة نهاية أسوأ من البداية .

كنت أرى أن نعالج متاعبنا الداخلية قبل أن نسعى للارتباط بغيرنا ، خاصة أن متاعبنا كثيرة ، انجليز يحتلوننا ، وفساد لا يزال يمد جذوره في التربة المصرية ، وإقطاع يمص دماء الفلاحين ، فقر يشمل أكثر من نصف السكان ، وجهل لم ينج منه سوى ١٥% فقط من المصريين ، وظلم اجتماعي لا حد له ولا ضمير ، ومتاعب اقتصادية واجتماعية لا حصر لها. [١]

حسن التهامي ومخطط عبد الناصر لهدم الوحدة العربية

ونختم هذا الكلام عن قومية عبد الناصر بحديث حسن التهامي صديق عبد الناصر مع محمد الطويل عن هذه الذكريات العربية الوحدوية: " أنني أؤكد للمرة الأخيرة أن الأردن الذي اعتبرناه منذ الخمسينات مفتاح الشرق الأوسط ومدخلنا من جديد إلى فلسطين المغتصبة وتحرير المقدسات لم يكن ذلك ليخفى على أي مخطط سياسي وكان هناك من يعمل ويسعى لتحقيق فاعلية لهذا المدخل الهام والحيوي وكان هناك أيضاً من يقاومه ويمنعه بل ويسعى لهدمه وضد أي تأمين إسرائيلي من الدول العربية المجاورة والمواجهة والمحيطة بها.

وسألت حسن التهامي عن دوافع دوره في هذه الخطوة العربية آنذاك ؟

فرد قائلاً: ما زلت أؤمن بأنه على كل وطني أن يعمل لتحقيق مصلحة المنطقة وشعوبها العربية وأن هذا ليس مستحيلاً مهما كانت الظروف فإمكانيات مصر وقدراتها أمل لدى كل عربي وهو أكبر بكثير من شخصيات الحكم التي كانت تجلس على قمة

([1]) محمد نجيب " كنت رئيساً لمصر " المكتب المصري الحديث ص ٣٣٩- ٣٤١.

السلطة فيها وكان دوري تحدياً للحكام في ذلك الحين لوضعهم أمام الواقع الذي تتطلع إليه الشعوب العربية وعليهم الاستجابة لهذه التطلعات من المصلحة العامة والضرورية إذا أردنا خدمة شعوبنا بإخلاص.

وكانت احتمالات نجاح هذا العمل الوطني العربي كبيرة وجادة وقائمة على أساس واضحة لدينا وإن كان عبد الناصر لم يكن ليقبل السير في مثل هذه الخطوات المخلصة والوطنية والضرورية ولا أن تكون هناك وحدة أو قوة عربية حقيقة حول إسرائيل وإن كان يغطي حقيقة مواقفه.. بالشعارات الدائمة عن القومية العربية وتأثرها بجاذبية شديدة على الشارع العربي الذي أقترب منه والتصق به إيماناً منه بحقيقة هذه الشعارات وللأسف لم يكن يعلم أنها غير حقيقية فعندما يتقرب منه أكثر كان ذلك أكثر ملاءمة . توطئة لذبحه !!

إن الذي أدهشني في ذلك الوقت أنني أردت أن أضع الحكم الناصري ورجاله في مواضع اختيار حيث يروا أمامهم ما كانوا يتشدقون به من شعارات العروبة، وهو نصر عربي على أرض عربية والسيطرة والهيمنة على تقاليد الأمور بها في يد ثورتنا الجديدة لتحقيقي أول وحدة عربية منذ الوحدة الإسلامية تحت ظل النظام التركي أي قبل وعد بلفور بقرون من الزمان . وللأسف ولدهشتي أنني لم أجد أي منهم يقف بجانبي ومعي ولو بكلمة حق لمنع عبد الناصر من تنفيذ مخططه لهدم هذه الوحدة العربية بتعمد واضح وبتخطيط وبتدمير محكم بدت في سلسلة من الإحراجات السياسية لا تساير مبادئ السياسية العربية التي تبدو خالصة للعروبة وبهذا فإنه يثبت تاريخياً أن ما حاول بناءه المخلصون والمؤمنون بالعمل العربي قد هدمه من كانوا لا يروا ذلك إنما كانوا يتشدقون به للدعاية فقط وكفاني أني وقفت وحدي ضد هذا التيار منذ بداية هذا التيار الناصري حتى نهايته . [1]

([1]) لمزيد من التفاصيل راجع الفصل التاسع عبد الناصر وسياسته للمواجهة العربية الإسرائيلية؟ في كتاب محمد الطويل " لعبة الأمم وعبد الناصر " المكتب المصري الحديث .

وللأمانة العليمة فإن عبد الناصر قد ندم على سياسته مع الدول العربية بعدما وقفت معه هذه الدول وقفة كريمة وأقالت عثرته الاقتصادية ، وضمدت آلامه النفسية في مؤتمر الخرطوم بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ .

يقول موسى صبري : " أسف جمال عبد الناصر على موقفه في تقسيمه الدول العربية إلي رجعية وتقدمية ، وأسف لهجومه على الملك فيصل واعتذر له على مائدة عشاء رسمية أمام أشخاص آخرين " [١] .

***

[1] جريدة الأخبار يوليو ١٩٧٧ .

obeikandl.com